دولة الإمارات العربية المتحدة
دبي

مجلة كلية
الدراسات الإسلامية والعربية

مجلة علمية محكّمة

العدد الخامس والثلاثون
جمادى الآخر ١٤٢٩ هـ - يونيو ٢٠٠٨م

المحتويـــــــات

- **الافتتاحية**

رئيس التحرير ١٣-١٤

- **منهج السنة النبوية في ترشيد الإنفاق والاستهلاك**

أ. د. نور الدين عباسي ١٧-٦٢

- **الحوار في ضوء السنة النبوية ضوابط وتوجيهات**

د. الشريف ولد أحمد محمود ٦٣-١١٢

- **الموقف الفقهي من إصدار الأسهم وتداولها**

د. أحمد عبد الحي محمد ١١٣-١٧٠

- **ميراث المرأة في الإسلام ودحض شبهة الاستشراق**

د. يوسف حسين أحمد ١٧١-٢١٤

- **نماذج من اختيارات الباجي في أحكام الفصول**

د. خالد وزاني ٢١٥-٢٤٦

- **التلوث الصوتي في ميزان الإسلام**

د. قطب الريسوني ٢٤٧-٢٨٠

- **إعراب القاري على أوّل بابٍ في صحيح البخاري**
لأبي الحسن نور الدّين عليّ بن سُلطان محمّد القاري
(ت ١٠١٤ هـ) دراسة و تحقيق

د. عبد الكريم مصطفى مدلج ٢٨١-٣١٨

- **الصورة المثلى لقارئ البلاغة بين النظرية النقدية الحديثة**
وعبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز

د. الرفاعي عبد الحافظ ٣١٩-٣٨٤

- **مكانة الموهبة المبدعة في النقد القديم عند العرب**
دراسة في جماليات الموهبة المبدعة

د. طاهر عبد الرحمن قحطان ٥٨٣-٨٠٤

- **مشيخة العرب و السياسة العثمانية ببابلك قسنطينة**

د. جميلة معاش ٤١١-٤٤٣

الصورة المثلى لقارئ البلاغة بين النظرية النقدية الحديثة وعبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز

د. الرفاعي عبد الحافظ *

* أستاذ البلاغة والنقد المساعد - كلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

يسعى البحث إلى بلورة الصورة المثلى للقارئ ، عند كل من النظرية النقدية الحديثة، وعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز ؛ وذلك لبيان مدى حرية القارئ في القراءة: فعرضنا لصورة القارئ في النظرية النقدية الحديثة ؛ عند نظرية التلقي من جهة، واستراتيجية التفكيك من جهة أخرى ، ثم عرضنا وناقشنا الصورة المثلى للقارئ المعاصر في موقفه من التراث ، وناقشنا تأرجحه بين الانقطاع المعرفي معه ، وإعادة إنتاجه ، ثم انتقلنا إلى بيان الصورة المثلى للقارئ في الدلائل وذلك في المحاور الآتية :-

أولا :- القارئ في الدلائل بين العقل والوجدان

ثانيا :- القلق المعرفي والقلق المنهجي النظري عند عبد القاهر بوصفه قارئا

ثالثا : - القلق المعرفي والقلق المنهجي التطبيقي عند عبد القاهر

ويشتمل كل محور من هذه المحاور ، على مباحث تتمحور حول ، العلاقة بين الذوق والضبط العلمي من جهة ، وتتمحور من جهة أخرى ، حول إبراز العلاقة بين كل من القلق المعرفي ، والقلق المنهجي ، ورفض التقليد ، وبين إثراء البحث العلمي ، وتطويره معرفيا ومنهجيا ، وتأكيد عدم التعارض بين تحقيق ذلك والاهتداء بهدي التراث ، والسير في ضوئه، وإبراز خطأ رهن التقدم المعرفي والمنهجي بمبدأ القطيعة المعرفية مع التراث .

مقدمة

لعل أول ما يلفت نظر المتتبع لحركة النظريات والمذاهب النقدية الحديثة، أنها تتأرجح في اهتمامها بالإبداع الأدبي وما يتعلق به بين كلٍّ من المؤلف، والنص، والقارئ، على أنها لم تتجاوز طرفي الإفراط والتفريط؛ فتارة تغرق في الإعلاء من شأن المؤلف، ثم تعلن موته، وهي تعلن الإعلاء من شأن النص؛ فلا تلبث قليلا حتى تعلن موته، وهي تعلن تذكرها للقارئ باعتباره أكبر منسي في نظريات الأدب الكلاسيكي[١]

على أن الدارس المنصف، لا يستطيع أن يتجاهل ما سببه الاهتمام المكثف في عصرنا بكلٍّ من المؤلف، والنص، والقارئ على حدة من تقدم علمي كبير في ميدان النظرية النقدية، غير أن أمانة البحث العلمي، والخضوع لضرورات المنهجية العلمية تقتضي أن نتساءل عن مدى مشروعية دعوتنا نحن القراء للقطيعة المعرفية مع التراث[٢]، أو للسيطرة عليه قبل أن يسيطر علينا[٣] انطلاقا من النظريات النقدية المعاصرة ذات الأصول المعرفية الغربية، وانطلاقا من قولهم إن:- "أدوات إنتاج معرفتنا الجديدة بالتراث ليست من صنعنا تماما"[٤]؟ والسؤال الذي يطرح نفسه علينا الآن هو: هل السبب في هذا هو فقر التراث معرفيا ومنهجيا، أم فقر معرفتنا نحن بالتراث منهجيا ومعرفيا؟

وإذا كانت النظريات النقدية الحديثة اختلفت فيما بينها؛ فإن أنصارها عندنا اختلفوا

(١) انظر مقدمة في نظرية الأدب – تيري إيجلتون ترجمة أحمد حسان – سلسلة كتابات نقدية عدد رقم ١١ سبتمبر ١٩٩١ م / هيئة قصور الثقافة مِصْر ص ٩٥ .

(٢) انظر قراءة التراث النقدي د جابر عصفور مؤسسة عيبا ل للدراسات والنشر قبرص ط ١ ١٩٩١ صـ ٦٥

(٣) انظر التراث والحداثة دراسات ومناقشات د محمد عابد الجابري المركز الثقافي العربي بيروت المغرب ط١ ١٩٩١م ص ٨٢

(٤) قراءة التراث النقدي د جابر عصفور مؤسسة عيبا ل للدراسات والنشر قبرص ط ١ ١٩٩١ صـ ٤٥، ٩٠

مثل أصحابها فيما بينهم، غير أنهم اتفقوا على أمرين كانا السبب في السؤال الذي حاول هذا البحث الإجابة عنه؛ أما الأمران فهما

الأمر الأول :- الدعوة إلى الحرية المطلقة للقارئ في قراء ة التراث بهدف القطيعة معه معرفيا أو السيطرة عليه قبل أن يسيطر علينا .

الأمر الثاني :- تقديرهم لعبد القاهر الجرجاني، بفضل كتابه دلائل الإعجاز، على تفاوت ما بينهم في أسباب ذلك، وإقرارهم بأن عبد القاهر كان ولا يزال أحد المحاور الرئيسة للدراسات البلاغية بعده .

وأما السؤال الذي انبثق عن الأمرين السابقين وكان السبب في وجود هذا البحث للإجابة عنه فهو ما الصورة المثلى للقارئ عند كل من :-

أولا :- النظرية النقدية الحديثة باعتبار القارئ فيها قطب الرحى من إشكالية القراءة بصفة عامة، وقراءة التراث بصفة خاصة. ومن ثم كان الأساس في عملية القراءة وبلورة الموقف من المقروء أيا كان.

ثانيا :- عبد القاهر باعتباره قارئا للتراث قبله من جهة، ومتوجها في كتابه الدلائل إلى قارئ ذي مواصفات خاصة من جهة أخرى، فضلا عن جمعه بين النظرية والتطبيق فيما تناوله من جهة ثالثة؟

وأما أهداف الدراسة؛ فتتمثل في البحث عن الملامح الرئيسية للصورة المثلى للقارئ وبلورتها عند كل من النظرية النقدية الحديثة وعبد القاهر في الدلائل حتى نقف في كل منهما على تصوره لكيفية تفاعل القارئ مع النص وآفاق ذلك التفاعل.

وأود أن أشير قبل بيان منهج الدراسة إلى أن القارئ يراد به هنا، قارئ التراث النقدي والبلاغي من جهة، وقارئ النصوص الأدبية من جهة أخرى؛ وهو ما أشار إليه عبد القاهر قديما في وصفه وتحليله لما قاله العلماء في التراث النقدي والبلاغي، وما أشار إليه النقاد حديثا من أنه " تشبه القراءة التي ينطوي عليها نقد النقد في آلياتها الأساسية، القراءة التي ينطوي عليها النقد التطبيقي في مقاربته النصوص الأدبية"(٥)

(٥) قراءة النقد الأدبي د جابر عصفور الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر ط ٢٠٠٢ م صـ ١٦

ومن ثم كان منهج الدراسة الذي اعتمد عليه الدارس في دراسته، هو المنهج الوصفي التحليلي وما يتطلبه ذلك من استدلال واستنتاج فضلا عما يشتمل عليه هذا المنهج من طرق نشير منها إلى طريقة المسح، وطريقة الحالة حسبما تقتضيه القضية العلمية .

وإذا كان الباحث منصفا؛ فإنه لا يستطيع أن ينكر أو يتنكر لأمرين :-

أولهما :- أن البلاغة العربية، تشتمل في مباحثها، على ما يؤكد محورية القارئ في عمليتي الإبداع والقراءة، ولا أدل على ذلك من شبه كمال الاتصال، وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.الخ

ثانيا: - أن النظرية النقدية الحديثة، لفتت الأنظار في عصرنا بكثافة إلى القارئ، وأسهمت في بلورة رؤى نقدية كانت وما زالت سبب جدل كبير بين الدارسين على أننا نسلم بأن النظرية النقدية الحديثة تعتبر المحرك الرئيس للاهتمام بالقارئ في عصرنا، غير أنه نتج عن ذلك مخاطر تتعلق بتصور حرية القارئ في فعل القراءة ومن ثم حرص الدارس على أن يبدأ بها خطته التي جاءت كما يلي أولا: مقدمة وتشتمل على عدة نقاط الأولى: أسباب اختيار الدراسة. الثانية :- أهداف الدراسة الثالثة :- منهج الدراسة. الرابعة: - أسباب خطة الموضوع الخامسة :خطة الموضوع ..

ثانيا: - ثلاثة محاور وخاتمة

المحور الأول:- القارئ في النظرية النقدية الحديثة ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول:- القارئ المنسي بين نظرية التلقي والتفكيك

المبحث الثاني:- القارئ المعاصر بين إعادة إنتاج التراث والانقطاع المعرفي عنه

المحور الثاني:- القارئ في الدلائل بين العقل والوجدان ويشتمل على أربعة مباحث:-

المبحث الأول: التساؤل برهان الصورة المثلى للقارئ في الدلائل

المبحث الثاني: حتمية الحمية الدينية والعقلية لقارئ البلاغة في الدلائل

المبحث الثالث: حمية عبد القاهر الدينية وطبيعة الشعر بين إفهام عبد القاهر وفهم الحداثيين له

المبحث الرابع:- صورة القارئ في الدلائل في ضوء الأمانة العقلية والحمية الدينية

المحور الثالث:- القلق المعرفي والقلق المنهجي النظري والتطبيقي عند عبدالقاهر ويشتمل على خمسة مباحث

المبحث الأول: - القلق المعرفي والقلق المنهجي أساسا التفكير البلاغي للقارئ عند عبد القاهر

المبحث الثاني: - الذائقة البيانية روح الصورة المثلى للقارئ عند عبد القاهر

المبحث الثالث: - مظاهر تخبط القارئ ومعاناة عبد القاهر

المبحث الرابع: - التراث البلاغي بين الرفض والقبول

المبحث الخامس: - صورة القارئ المثالي في الفكر البلاغي بين النظرية والتطبيق

المحور الأول: القارئ في النظرية النقدية الحديثة

المبحث الأول: القارئ المنسي بين نظرية التلقي والتفكيك

لوحظ حديثا الاهتمام بالقارئ في نظريات القراءة؛ فإذا كانت " القراءة هي الكفاءة التي يكتسبها البشر لحل لغز الرسائل المختلفة التي تبث إليهم في محيط حياتهم "(٦) فينبغي أن نتذكر دائما أن الافتراض " الذي تقوم عليه القراءة في المستوى السيمنطيقي هو أن القارئ يمتلك أدوات القراءة، ويتفاعل مع النص من منطلق معرفته باللغة، التي تشكل بها هذا النص ولا تقف عوائق أمامه وأمام فهم هذا النص، أما المستوى الهرمينوطيقي فهو المستوى الذي يشعر فيه القارئ أنه أمام بعض المشكلات التي لا يتمكن من فك ألغازها "(٧).

ومن هذا المنطلق "كثيرا ما نخطئ الفهم بل قد نتسائل عن مدى قدرة البشر على فهم بعضهم البعض؛ فالكلمات لا تعني نفس الشئ لمختلف الناس حيث عالم الخبرات الإنسانية أكثر اتساعا من عالم اللغة"(٨) ومن ثم قيل "إن القارئ شريك للمؤلف في تشكيل المعنى

(٦) القارئ والنص – العلامة والدلالة – سيزا قاسم – المجلس الأعلى للثقافة مصر ط ٢٠٠٢ م ص ١٩٤

(٧) السابق ص ١٢٧ .

(٨) القارئ والنص ص ١٣٣ .

وهو شريك مشروع؛ لأن النص لم يكتب إلا من أجله، وليس غريبا أن نجد المناهج النقدية الحديثة كلها، على الرغم من تباين اتجاهاتها، في كثير أو قليل، تركز على طريقة تعامل القارئ مع النص"[٩] على أساس أن "القارئ أكبر منسي في نظريات الأدب الكلاسيكية"[١٠] فـ"إذا كان النص لا يوجد إلا بوجود القراءة، وإذا كان التأويل... يبدأ عندما يستحوذ القارئ على النص فإنه يصبح من العسير جدا أن نتحدث عن النص خارج القراءة التي هي من نتائجه"[١١] ومن ثم أصبح من المشروع أن تهتم المناهج النقدية الحديثة بالسؤال التالي "كيف يتم اللقاء ويتطور بين النص المقروء ونص القارئ؟"[١٢] بمعنى آخر "ماذا يحدث عندما يواجه القارئ نصا محاولا أن يفك شفرته؟ وكيف يكون التفاعل بين القارئ والنص ؟ كيف يتوصل القارئ إلى دلالة النص ؟ كيف يقرر أن هذا النص يحمل دلالة أو لا يحمل دلالة ؟ كيف يقرب النص"[١٣] وهكذا يتأكد لنا "أن نظرية التلقي تشير على الإجمال إلى تحول عام من الاهتمام بالمؤلف والعمل إلى النص والقارئ"[١٤]، ومن هذا المنطلق قالوا " أبرز معطيات هذه النظرية هو أن كلا من المعنى والبناء في العمل الأدبي ينتجان عن التفاعل مع نص القارئ الذي يجئ إلى العمل بتوقعات مستمدة من أنه قد تعلم وظائف وأهداف وعمليات الأدب، بالإضافة إلى عدد من الميول والمعتقدات التي يشترك فيها مع الأعضاء الآخرين في المجتمع. المعنى والبناء إذن ليسا خصائص مقتصرة على النص، خصائص يقوم القارئ باكتشافها؛ فالقارئ هو، إلى حد ما، المبدع المشارك، لا للنص

---

(٩) فن القص – في النظرية والتطبيق د / نبيلة إبراهيم مكتبة غريب – مصر د.ط، د.ت. صـ ٥٣

(١٠) نظريات القراءة – من البنيوية إلى جمالية التلقي بارت، تودوروف وآخرون ترجمة د / عبد الرحمن بو على دار الحوار سوريا ط ١ ٢٠٠٣ صـ ١٠٩

(١١) السابق صـ ١١٤ .

(١٢) السابق صـ ١٢٣ .

(١٣) السابق ص ٣١ .

(١٤) نظرية التلقي مقدمة نقدية روبرت هولب ترجمة د / عز الدين إسماعيل – المكتبة الأكاديمية مصر ط ١ ٢٠٠٠ م ص ٢٦ علما بأن الكتاب المذكور ترجمته رعد عبد الجليل جواد نشر دار الحوار تحت عنوان نظرية الاستقبال ط ١ ٢٠٠٤ م سوريا والنص المذكور ص ٨ .

نفسه، بل لمعناه وأهميته وقيمته"[١٥]، "فالمدرك هو الذي يقرر النوعية الفنية للعمل"[١٦] إذ "أهم فعالية للقراءة هي تلك المتمثلة بملء فراغات الغموض أو أوجه التخطيط في النص ... فملء الأماكن الغامضة يحتاج إلى إبداع "[١٧] غير " أن نوعية العلاقة التي تربط القارئ بالنص تتحدد من خلال وعي الذات بنفسها، ووعيها بالنص الذي تتلقاه فالمقولة التي نقبلها اليوم بأن القارئ قد يستخرج من النص دلالة ليست ما قصد إليه المؤلف لم تكن مطروحة من قبل"[١٨]

والمعنى أن القارئ الذي يعنيه منظور التلقي هو "القارئ المثقف الذي ينطلق في تفسيره للنص من وعيه بأفقه وآفاق الآخرين "[١٩]

وهذا هو ما أراده [ولف جانج أيزر] " فقد أراد أن يرى المعنى كنتيجة للتفاعل بين النص والقارئ ... فالتركيز يتحول من النص كموضوع إلى سلوك القراء كإجراء.

إن العمل الأدبي ليس نصا بالكامل كما أنه ليس ذاتية القارئ، لكنه تركيب أو التحام من الاثنين"[٢٠]

وبناء على ذلك كانت عملية القراءة بالنسبة لنظرية التلقي: هي دائما عملية دينامية حركية مركبة وتفتح خلال الزمن والعمل الأدبي نفسه يوجد كمجرد ما أسماه المنظر البولندي رومان إنجاردن Roman Ingarden منظومة من التخطيطات (Schemata) أو التوجيهات العامة التي يجب أن يحققها القارئ"[٢١] "إن النص من هذه الزاوية إذن لا يشتمل على

---

(١٥) المرايا المحدبة – من البنيوية إلى التفكيك د / عبد العزيز حموده – مطابع الرسالة – الكويت سلسلة عالم المعرفة ١٩٩٨ م صـ ٣٢٢، ٣٢٣

(١٦) نظر الاستقبال ص ٤٣ وانظر ص ٥١ نظرية التلقي

(١٧) نظر الاستقبال ص ٥٨ وانظر ص ٦٤ نظرية التلقي .

(١٨) القارئ والنص ص ١٠٧ .

(١٩) السابق صـ ٣٢٦ .

(٢٠) نظرية الاستقبال ص ١٤٥ وانظر نظرية التقي ص١٣٥ .

(٢١) مقدمة في نظرية الأدب – تيري إيجلتون ترجمة أحمد حسان سلسلة كتابات نقدية عدد / ١١/ ١٩٩١ م نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة مصر ص ٩٨ .

معنى، ولا حتى على معاني، ولا يضم بين دفتيه دلالة نهائية كلية أو جزئية... وهذا ما يمنح الذات المؤولة موقعا بالغ الأهمية فلها وحدها الصلاحية في تحيين هذه الدلالة أو تلك ضمن هذا المسار التأويلي أو ذاك، ضمن شروط الانتقاء السياقي والظروف المقامية الخاصة بكل فعل قراءة"(٢٢).

وإذا كانت أعمال [جادامير] "ذات تأثير في تطور نظرية الاستقبال"(٢٣) فرغم تهكمه بما ذهب إليه العديد من منظري الاستقبال نراه في الحقيقة والمنهج يقول "إن المبدأ القائل إن المرء يجب أ يفهم مؤلفاً ما أفضل مما يفهم هذا الأخير نفسه هو مبدأ قديم جداً قدم النقد العلمي نفسه"(٢٤) ويؤكد هذا ما انتهت إليه النظرية النقدية الحديثة من "أن النص مجرد رحلة خلوية يجلب فيها الكاتب الكلمات بينما يجلب القراء المعنى"(٢٥).

وهكذا نستطيع أن نقول:- إذا كان "البديل الذي تقدمه استراتيجية التفكيك ليس هو إعادة الذات إلى محور الوجود، بل حرية كل قارئ في تقديم نصه هو، في إعادة كتابة النص أي تفسيره بالطريقة التي يراها من منظور تفكيكي؛ فإن القارئ كل قارئ لا يفسر النص بطريقته فقط، بل إنه ينتجه، ويعيد كتابته. إن النص ليس مغلقا، ولا يقاوم الإغلاق فقط، بل إنه لا وجود له تماما كالمؤلف الذي أماته التفكيكيون، ويذهب التفكيكيون إلى القول بأن عملية القراءة عملية توحد صوفي بين النص والقارئ تختفي فيها المسافة وهامش الخطأ. ولهذا فإن القول بأن كل قراءة إساءة قراءة يعني أيضا أن كل قراءة للنص قراءة صحيحة إلى أن تفكك القراءة نفسها بنفسها، أو تجئ قراءة أخرى تفككها لتصبح إساءة قراءة"(٢٦).

---

(٢٢) السميائيات والتأويل مدخل لسميائيات ش . س . بورس / سعيد بنكَراد- المركز الثقافي العربي المغرب ط ١ ٢٠٠٥ م ص ١٨٥ .

(٢٣) نظرية الاستقبال ص ٧٤ .

(٢٤) الحقيقة والمنهج - الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية - هانز جورج غادامير ترجمة د / حسن ناظم - على حاكم صالح راجعة على الألمانية د / جورج كتورة - دارأويا - ليبيا ط ١ ٢٠٠٧ م ص ٢٨٣، ٢٨٤ .

(٢٥) التأويل والتأويل المفرط / امبرتو إكو ترجمة ناصر الحلواني سلسلة آفاق الترجمة نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١ أغسطس ١٩٩٦ م ص ٤١ .

(٢٦) المرايا المحدبة - مرجع سابق صـ ٣٠٨، ٣١٣، ٣١٤

وسواء قلنا هذا أو ذاك فمما لاشك فيه "أن رد الاعتبار للقارئ ليس أمرا مفاجئا، فقد سبق أن تنبه ((إليوت)) إلى أمر كهذا عندما قال " إن وجود القصيدة هو دائما في منطقة ما بين الشاعر والقارئ ... ولا تقتصر على مجرد ما يريد الشاعر أن يعبر عنه " (٢٧) ومما يؤكد هذا ما قاله رينيه ويليك " ولكن إليوت من الناحية النظرية كان يؤمن حتى في تلك الفترة بأنه لا وجود للمعنى الموضوعي في العمل الفني. فقد يبدو أن القصيدة تعنى أشياء مختلفة للقراء المختلفين، وقد تكون هذه المعاني كلها مختلفة عما ظن الشاعر أنه عناه وهى فكرة معقولة استنتج منها إليوت أن تفسير القارئ قد يختلف عن تفسير الشاعر ويساويه في الصحة، بل قد يكون أفضل " (٢٨).

المبحث الثاني: القارئ المعاصر بين إعادة إنتاج التراث والانقطاع المعرفي عنه

وهكذا كان القارئ في علاقته بالمقروء وكيفية قراءته له محل جدل كبير بين القراء وبخاصة قراءة التراث في عصرنا، على أساس أن "التصور المعاصر للقراءة تصور يبدأ بتأكيد ما يقوم به القارئ من اختيار لمعنى بعينه داخل التتابع المتضام لمساق الكلمات في النص المقروء، وينتهي بأداء القارئ لهذا المعنى المختار بما يكشف عن خصوصية فهم هذا القارئ، أو كيفية إدراكه النص المقروء"(٢٩) ومن ثم كان "السبب وراء شيوع مصطلح القراءة بمثل هذا التصور في ثقافتنا العربية المعاصرة، في السنوات الأخيرة، راجعا إلى الرغبة في تأكيد الطابع التفسيري (التأويلي) لكل فعل من أفعال القراءة في مختلف المجالات الثقافية من جانب، وتأكيد الدور الذي يقوم به القارئ في عملية القراءة من جانب ثان، وتأكيد الطبيعة المعرفية التي تصل القارئ بالمقروء في عملية إنتاج معرفة جديدة من جانب ثالث. وإذا كان الجانب الأول يؤكد أن وظيفة القراءة تتصل بالكشف عما تتضمنه علاقات النص المقروء أو تسهم في إنتاجه من معنى ممكن لهذا النص وليس المعنى الممكن الوحيد بألف لام التعريف؛ فإن الجانب الثاني يؤكد الدور الفاعل الذي يقوم به القارئ في

---

(٢٧) في مفهومي القراءة واالتأويل د / محمد المتقن مجلة عالم الفكر المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب الكويت العدد ٢ المجلد ٣٣ ديسمبر ٢٠٠٤ م صـ ١٤

(٢٨) مفاهيم نقدية – رينيه ويليك ترجمة د / محمد عصفور المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – الكويت سلسلة عالم المعرفة ١٩٨٧م صـ ٤١٩

(٢٩) قراءة التراث النقدي . جابر عصفور مؤسسة عيبال للدراسات والنشر – قبرص ط – ١٩٩١م صـ ١٢

تشكيل هذا المعنى، أما الجانب الثالث فيصل الدور الفاعل لهذا القارئ بما تمر به ثقافته من تحولات جذرية تدفعه إلى إنتاج معرفة جديدة بها في الوقت نفسه"(٣٠)

على أن الدور الفاعل للقارئ في تشكيل المعنى وإنتاج معرفة جديدة يمتد إلى " الانشقاق بين علم الأدب والنقد إذ إن الأول يعالج المعاني بينما الثاني ينتجها؛ فأن نقرأ يعنى أن نرغب، أن نريد أن نكون العمل .. وإذ تبدو القراءة عكس الكتابة، فمن غير الممكن أن تتطابق القراءة مع مشروع الناقد الذي، رغم أنه ليس إلا قارئا معينا، اختار أن يحول قراءته إلى كتابة؛ أي أن يقول شيئا آخر لا يقوله العمل الأدبي أو حسب تعبير(بارت)- فإن الانتقال من القراءة إلى الكتابة يعني تغييرا في الرغبة، ألا يعود المرغوب فيه عند الناقد هو العمل الأدبي ولكن خطابه الخاص " [ومن ثم قيل عن النص] لا وجود له إلا من خلال الإدراك المتميز لكل قارئ [وقيل عن النقد] إن النقد هو رؤيا لرؤيا أخرى " (٣١) نترك د عبد العزيز حمودة ليصور لنا ما حدث له إبان قراءته لمثل هذا يقول " وقفت أسير الشُّعور بالانبهار وأنا أقرأ لها [يقصد د/حكمت صباغ الخطيب " نحن - القراء - طرف في علاقة طرفها الآخر النص. نحن نبدع النصوص حين نقرأها. ونحن بالقراءة نقيم حياة النصوص أو نشهد على موتها. أن نمارس النقد معناه أن نشارك في دورة الحياة لثقافتنا. ننتج حياة هذه الثقافة لننتج بدورها حياتنا الأفضل " . وتوقفت كثيرا عند ذلك الدور الجديد الفاعل الذي يحدده نقاد الحداثة للقارئ في إقامة حياة النصوص، وفي صنع الثقافة، إن الحديث هنا عن دور القارئ الذي يبدع النص ويصنع معناه ليس من البنيوية التي يتحدث عنها الكتاب، ولكنه مرحلة مختلفة تعرف بنظرية التلقي التي تنقل المعنى من داخل بنى النص الصغرى والكبرى، وعلاقات تلك البنى بالنسق والأنساق داخل النص نفسه، كما يقول البنيويون، إلى المتلقي وهو ما يعتبر تمهيدا بدرجة ما لمدرسة التفكيك التي بدأها دريدا "(٣٢).

---

(٣٠) قراءة التراث النقدى صـ ١٣، ١٤ .

(٣١) النقد الأدبي برونل، مادلينا ،كوتي، جليكسون ترجمة د هدى وصفي الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٩م ص ١١٧، ١٢٥، ١٢٦، ١٥٧،

(٣٢) المرايا المحدبة - صـ ١٦ والنص الذي يناقشه الكاتب لـ حكمت صباغ الخطيب في كتابها (في معرفة النص دراسات في النقد الأدبي بيروت دار الآفاق الجديدة / طبعة عام ١٩٨٣م صـ ١٣ .

وهكذا اعتمد نقاد الحداثة عندنا على كل من نظرية التلقي ومدرسة التفكيك في بلورة موقفهم من التراث وذلك حيث قالوا " إن قراءة التراث النقدي، شأنها شأن أية قراءة أخرى، لا يمكن أن تتقدم إلا إذا انقسم وعي القارئ على نفسه، في مرحلة من مراحل القراءة، وأصبح وعيا مزدوجا، ذاتا وموضوعا في آن ... ويدرك أن جهاز قراءته قد كشف في النص الذي قرأ عن معنى ذي دلالة في السياق التاريخي لهذا القارئ وأفقه الزمني الخاص في آن .ولكن الأمر لا يقتصر على عمليات المراجعة ... فما نعرفه هو أن كل تغير حاسم في مجال المعرفة الأدبية يقترن بعملية انقطاع معرفي ... وأحسب أن النقد الأدبي العربي يمر بمرحلة تنطوي على بدايات انقطاعات معرفية من هذا النوع " (٣٣).

ويلاحظ عدم التفرقة " في فعل القراءة الذي يتناول نصوصا أدبية أو نقدية أو فكرية أو تاريخية فكلها نصوص قابلة للقراءة وخاضعة لأعرافها، ومُسْتَجِيبة إلى تقنياتها "(٣٤) ومن هذا المنطلق " تشبه القراءة التي ينطوي عليها (نقد النقد) في آلياتها الأساسية، القراءة التي ينطوي عليها النقد التطبيقي في مقاربته النصوص الأدبية "(٣٥) * ومن ثم كان عدم الوعي بكيفية القراءة وآلياتها في قراءة التراث النقدي حسبما يرى الحداثيون مؤديا إلى "تجريبية متخبطة، تتسم بآلية التقليد أو عشوائية التلفيق"(٣٦).

وهذا هو ما انتهت إليه الحداثة في حكمها على أغلب ما قدم من دراسات للتراث النقدي حتى الآن " إن أغلب ما قدم من دراسات للتراث النقدي إلى الآن ينحصر في أهون الدوائر العلمية، التطبيقية، نقلا وتقليدا، تلخيصا وعرضا، تعليقا وحاشية، استدراكا وتعقيبا، والقليل القليل الذي يدخل القراءة ينصرف إلى الجوانب العلمية، أو التطبيقية، دون أن ينشغل – في الأغلب – بتأصيل نظرية في القراءة" (٣٧)

---

(٣٣) قراءة التراث النقدى صـ ١٦

(٣٤) قراءة النقد الأدبي جابر عصفور – الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر ٢٠٠٢ م صـ ١٦

(٣٥) قراءة النقد الأدبي جابر عصفور – الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر ٢٠٠٢ م صـ ١٦

* لم يشر جابر عصفور إلى وعي عبد القاهر بهذا وإنما اكتفى كعادته بربط هذه الدرجة العالية من الوعي بالذات وآلياتها بالنظريات المعاصرة راجع نظريات معاصرة جابر عصفور مصر ١٩٩٨ م صـ ٢٦٧ ..الخ

(٣٦) قراءة التراث النقدي صـ ١٤ .

(٣٧) قراءة التراث النقدي صـ ١٧ .

على أن هذا الحكم الحداثي لم يستثن أحدا لا محمد مندور ولا طه إبراهيم ولا أدونيس ولا كمال أبو ديب، ولا حسن حنفى ولا زكي نجيب محمود .. الخ " [٣٨] فجميع هؤلاء لم يتعلم كما قال جابر عصفور من الجاحظ قوله " لم يكن يقين قط حتى صار في شك، ولم ينتقل أحد من اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك " [٣٩] يقول جابر عصفور معلقا على قول الجاحظ قبل وبعد نصوص نقدية تؤكد حكمه النقدي السابق: - "وفي القول السابق - لو أنعمنا النظر - ما يعصمنا من مزالق قراءة التقليد وفي الوقت نفسه يعصمنا من مزالق الأشكال الحداثية، البراقة لنفس النزعة حيث تتبدل صورة السابق ومكانه ولغته فحسب، ليأخذ اللاحق عنه مترجما أو ملخصا في اتباعية عصرية، لا تختلف في آلياتها الاتباعية السابقة أو حيث يأخذ اللاحق الحكم البراق لمن سبقه، خصوصا حين يكون هذا الحكم متصلا بالمشابهة بين نصوص التراث وأفكار الفرنجة"[٤٠].

ويؤكد د/ نصر كل هذا في تصويره لوضعيتنا الثقافية الراهنة إبان بحثه عن مشروعية إقامة حوار بين السيميوطيقا - ذلك العلم الغربي - وبين التراث العربي مؤكدا أن وضعيتنا الثقافية يحكمها اتجاهان لا ثالث لهما يقول: - " فهي في جانب منها نتعامل مع ثقافة الغرب بوصفها ثقافة التقدم والحضارة التي يتحتم تقليدها في كل جوانبها.، والاتجاه الثاني في ثقافتنا اتجاه يأخذ رد الفعل النقيض فيلوذ بالتراث محتميا ويتبنى بعض مفاهيمه دون وعى بأن هذه المقولات وتلك المفاهيم لم تكن إلا صياغة لهموم العصر ومواجهة لتحديات الواقع الذي كان يحياه الأسلاف، ولا يقف هذان الاتجاهان دائما موقف التقابل والتضاد، فأحيانا نجد لممثلي الاتجاه الأول نظرات في التراث سطحية تنتهي أحيانا إلى الإعلاء من شأنه كنوع من التكفير غير الواعي عن ذنب الاغتراب، وأحيانا أخرى نجد عند ممثلي الاتجاه الثاني نزوعا إلى الظهور بمظهر المتفتحين على تراث الغرب وفهم مقولاته وتصوراته

---

(٣٨) انظر قراءة التراث النقدي - جابر عصفور صـ ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٤، ٤٨، ٤٩، ٦٨، ٧١، ٨٠، ٨١، ٨٢.

(٣٩) الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون دار الجيل بيروت ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م وقد غير جابر قوله (حتى كان قبله شك) إلى (حتى صار في شك) فاليقين عند الجاحظ مسبوق بشك وتغيير جابر جعل اليقين يصير إلى شك.

(٤٠) قراءة التراث النقدى صـ ١٨

ويحلو لهم أحيانا مقارنة التراث بما فهموه عن الغرب فيبدو لهم التراث حاملا لكل ما جاء به فكر الغرب سابقا للغرب بقرون إن كلا الاتجاهين في ثقافتنا له خطره الأكيد ولا خلاص من هذا المأزق إلا بأن يكون الحوار النابع من موقفنا الراهن هو وسيلتنا للتعامل مع الغرب وثقافته من جهة، وللتعامل مع مفاهيم تراثنا وتصوراته من ناحية أخرى"(٤١).

أعتذر عن الاقتباس الطويل، فما أردت إبرازه هو منطق محاصرة القارئ بعد تصنيفه وتوصيفه بهدف تقييده بالموقف الفكري للكاتب، وإلا فليختر لنفسه وصفا من الأوصاف الأربعة السابقة، ومن ثم أرى أن توصيف د / عبد العزيز حمودة للحداثيين قد حالفه التوفيق حيث يقول: - "الإنسان في هذه الأيام واحد فقط من اثنين بالنسبة للحداثيين العرب: إما حداثي أو رجعي جاهل"(٤٢).

ولا أبالغ إذا قلت كأني ببعض كتابنا ومفكرينا الحداثيين لا يريدون لنا أن نتخلص من مرآة رفاعة الطهطاوي المرسيلية حين واجه المرآة وخشي ثنائية صورته، وأبى أن ينفصم عن شخصيته (٤٣) مؤكدين في ضوء أبحاث علم النفس التحليلي الحديث التي أجراها العالم الفرنسي (جاك لا كان) أننا مازلنا نمر بمرحلة المرآة في بحوثنا العلمية وأننا لن نكون مؤهلين للوعي بالذات وتملك شخصية مستقلة (٤٤) حتى نمر ويمر تراثنا بطور المرآة هذا، وإلا فما معنى ما قاله جابر وما قاله أبو زيد بل ما قاله قبل ذلك مندور حين قال: - "أصبح لزاما علينا أن نعيد فهمنا للأدب عامة والشعر بخاصة على ضوء تلك الثقافات العالمية حتى لا نظل متخلفين عن ركب الإنسانية العام "(٤٥) على أننا نؤكد أننا لا ننكر أو نتنكر لتغير أشكال المعرفة وعلاقاتها عبر العصور؛ إذ "يرتبط مفهوم النسق المعرفي في الفكر الحديث

(٤١) أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيموطيقيا إشراف - سيزا قاسم - نصر حامد أبو زيد دار إلياس العصرية - القاهرة ١٩٨٦ م صـ ٧٣، ٧٤ ونفس الدراسة نشرت في كتاب إشكاليات القراءة وآليات التأويل د / نصر أبو زيد - الهيئة العامة لقصور الثقافة مصر ١٩٩١ م صـ ٥٢، ٥٣ .

(٤٢) المرايا المحدبة صـ ١٨

(٤٣) مجلة فصول - منطلق الحداثة مكان أم زمان - أنور لوقا - الهيئة المصرية العامة للكتاب المجلد الرابع العدد الثالث يونيه / ١٩٨٤ م صـ ٩٤ .

(٤٤) السابق صـ ٩٣ .

(٤٥) فن الشعر د / محمد مندور - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م صـ ٥ .

بالبحوث التي قدمتها دراسة الأطر الاجتماعية للمعرفة، وما انتهت إليه من تصورات تكشف عن تغير أشكال المعرفة وعلاقاتها عبر العصور المختلفة، وتأسيس هذا المفهوم في بحث الظواهر الأدبية والبلاغية ضروري لمتابعة التحولات التي تفرض على الباحث المعاصر اتخاذ موقف منهجي صحيح [٤٦]غير أننا لا نستطيع في الوقت نفسه أن نقبل بالتعامل مع دلائل الإعجاز كقطعة صلصال نشكل صاحبها مرة (الفريد دي سوسير) ومرة (ريتشاردز) ومرة (أمبرتو إيكو) فتلحقنا لعنة القراءة الإسقاطية أو مقولة (أدونيس) "أخذ كل جيل عربي أو كل مفكر يخيط موروثه رداءً مطابقا لاتجاهه الأيديولوجي "[٤٧] دع عنك ما يجره علينا من اتهام بالمرآة الطهطاوية المرسيلية إذا ما قلنا مع (أدونيس) "قراءة النقد الفرنسي الحديث هي التي دلتني على حداثة النظر النقدي عند عبد القاهر الجرجاني في كل ما يتعلق بالشعرية وخاصيتها اللغوية التعبيرية "[٤٨]

إننا نريد في قراءتنا لتراثنا العربي أن نكون موضوعيين عقلانيين لا على طريقة الجابري حيث يقول:- "إننا نعنى بالموضوعية جعل التراث معاصرا لنفسه، الشيء الذي يقتضى فصله عنا. وبالمقابل نعني بالمعقولية جعله معاصرا لنا .... [ف] نتحرر من سلطته علينا ونمارس سلطتنا عليه"[٤٩] ولا على طريقة جابر عصفور الذي يرى أن "من الحق أن القارئ المعاصر في حدث القراءة – لا ينظر إلى الماضي ليهتدي بهديه ويسير في ضوئه"[٥٠] انطلاقا من "أن كل تغير حاسم في مجال المعرفة الأدبية يقترن بعملية انقطاع معرفي" [٥١]* وذلك لأننا لا نأسف مما يأسف له الحداثيون من أن خصوصية علاقة ثقافتنا المعاصرة بالتراث "تجعل المقروء بعض القارئ والموضوع بعض الذات. ولعلنا الأمة

(٤٦) بلاغة الخطاب وعلم النص د / صلاح فضل – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ط(١) ١٩٩٦م صـ ٧

(٤٧) الثابت والمتحول–أدونيس (على أحمد سعيد) بيروت الطبعة الثالثة ج ١ صـ ٣

(٤٨) الشعرية العربية – أدونيس (على أحمد سعيد) بيروت ١٩٨٥ م صـ ٨٦، ٨٧

(٤٩) التراث والحداثة دراسات ومناقشات د / محمد عابد الجابرى – المركز الثقافى العربي بيروت – المغرب ط١ ١٩٩١م صـ، ٤٧

(٥٠) قراءة التراث النقدى صـ٦٥

(٥١) السابق صـ ١٦

* أحيل القارئ إلى نظرية الاستقبال صـ ١٦ حيث النماذج القديمة أثبتت عدم قدرتها على القيام بوظائفها أو نظرية التلقي ص ٣١

الوحيدة التي تلتبس علاقتها بتراثها التباس التضاد العاطفي الذي يجعل الفرد مهووسا بحب الشيء وكرهه في آن"[٥٢].

المحور الثاني القارئ في الدلائل بين العقل والوجدان

المبحث الأول: التساؤل برهان الصورة المثلى للقارئ في الدلائل

إذا كان لنا أن نبين حقيقة المراد بالموضوعية والعقلانية، اللتين يجب أن يتصف بهما القارئ؛ فلا بد من بيان الصورة المثلى لقارئ البلاغة في دلائل الإعجاز، على أنه يحسن بنا أن نشير إلى ما لاحظه د/مصطفى ناصف من أنه إذا كان "الفهم نتاج عقل قادر ... [فـ] لقد كان القارئ الخبير معترفا به على الدوام. وكان المفسرون البلاغيون يشعرون كثيرا بضرورة تحديد المخاطب ... فلقد كان افتراض القارئ الذي يصارع ما استطاع مشغلتهم"[٥٣] وعبد القاهر لا ينطبق عليه بأي حال من الأحوال قولهم " إن غياب القراء ماديا ربما يجعل الكاتب يظن أنه وحده في هذا العالم " [٥٤]؛ إذ يأخذ القارئ دائما بعين الاعتبار لدرجة تجعلنا نقول لئن كان النقاد قد قالوا " هناك قارئ يؤخذ في الاعتبار عند بناء الخطاب، يتم التوجه إليه، وهو قارئ متضمن في النص، ومختلف عن القارئ الفعلي الخارجي "[٥٥] فإننا نرى هذا القول وقد تمثل في القارئ الضمني الذي كان عبد القاهر يخاطبه إذ تارة يقول:- " اعلم "[٥٦] **وتارة يقول " فاعرفه "**[٥٧]

وتارة يراه " صحيح الذوق صحيح المعرفة، نسابة للمعنى "[٥٨] بل يتصوره ممن ينظرون " نظر المتثبت الحصيف الراغب في اقتداح زناد العقل، ومَنْ شأنُه

---

(٥٢) السابق صـ ٥٢

(٥٣) اللغة والتفسير والتواصل د / مصطفى ناصف سلسلة عالم المعرفة رقم ١٩٣ – الكويت يناير ١٩٩٥ م صـ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٢ .

(٥٤) بلاغة الخطاب وعلم النص د صلاح فضل ص ٩٥

(٥٥) السابق صـ ١٣٨ .

(٥٦) دلائل الإعجاز – لا تكاد تخلو صفحة منهما أو من أحدهما .

(٥٧) دلائل الإعجاز – لا تكاد تخلو صفحة منهما أو من أحدهما .

(٥٨) دلائل الإعجاز صـ ٣٠٣ .

التَّوْق إلى أن يعرف الأشياء على حقائقها ويتغلغل إلى دقائقها، ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلد، ولا يعدو الذي يقع في أول الخاطر"(٥٩)

ولعل أول ما يلفت المتدبر في دلائل الإعجاز هو كثرة إشارات عبد القاهر لأهم صفتين من صفات قارئ البلاغة باعتبارها علما من العلوم

الأولى: التساؤل ووضع الإشكال

الثانية: الذائقة البيانية *

أما الصفة الأولى فالاهتمام بها يؤكد " أن النقد وضع مستمر للمشاكل، وأن لكل جملة أو بيت مشكلته التي يجب أن نعرف كيف نراها ونضعها ونحكم فيها وهذا هو النقد الموضوعي الذي نؤمن بفائدته وهو بعد ليس بالأمر الْهَيِّن، لأنه لا بد لنا كما يقول (روسو) من فلسفة كبيرة لنلاحظ ما يقع عليه بصرنا، ثم إن الملاحظة لا تكفى بل لابد من وضع الإشكال. ووضعه – فيما يحكى المثل الأوربي حل له، ومن ثم حكم فيه "(٦٠). يعنيني فيما قاله د / مندور أن النقد وضع مستمر للمشاكل، ولنتأمل الأسئلة التي يطرحها عبد القاهر على قارئه وهو يعلمه ويعلمنا أن البحث العلمي مؤسس على التساؤل يقول "واعلم أن ههنا أسراراً ودقائق، لا يمكن بيانُها إلا بَعْدَ أن تُقَدِّم جملةً من القول في النظم وفي تفسيره والمراد منه، وأي شئ هو ؟ وما محصوله ومحصول الفضيلة فيه ؟ فينبغي لنا أن نأخذ في ذكره، وبيان أمره، وبيان المزية التي تُدَّعَى له من أين تأتيه ؟ وكيف تعرض فيه ؟ وما أسباب ذلك وعِلَلُه؟ وما الموجب له؟ "(٦١)

يكشف هذا النص عن طبيعة القارئ الضمني المفترض لدلائل الإعجاز؛ فإلا يكن ندا لعبد القاهر في الإجابة عن الأسئلة؛ فلا أقل من الوعي بالأسئلة والاشتراك في طرحها بتبصر لا بتنفج القائل " نعيد اليوم قراءة عبد القاهر لنرى ما الذي يمكن أن يقدمه لنا، وما

---

(٥٩) السابق صـ ١٧١

* سوف نعرض بإذن الله للصفة الثانية في المبحث الثاني من المحور الثالث

(٦٠) في الميزان الجديد د / محمد مندور دار النهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة ١٩٨٣م صـ ١٨٨ .

(٦١) دلائل الإعجاز صـ ٨٠ .

الذي يمكن أن ننفيه عن وعينا. وعلينا ألا ننسى ونحن نعيد قراءة عبد القاهر أننا سنطرح عليه أسئلة معاصرة. باحثين عن إجابات ربما لم تخطر للشيخ على بال، وإنما هي إجابات كامنة ضمنية تحاول قراءتنا أن تكشف عنها وتجليها. " (٦٢).

البون شاسع بين هذا وبين موقف عبد القاهر من السابقين عليه من أهل العلم؛ فلئن كان ما قالوه في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة كالرمز والإيماء والإشارة في خفاء، فإننا " **علمنا أنهم لئن أقصروا اللفظ لقد أطالوا المعنى، وأن لم يُغْرِقوا في النزع، لقد أبعدوا على ذاك في المرمى** "(٦٣) ومنْ ثَمّ كانت صورة قارئه في ذهنه منسوجة من الرغبة الصادقة في الاهتداء بهديهم والسير في ضوئهم وذلك حيث يقول مخاطبا قارئه " وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم، وإجماعهم أن لا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، وأنه القطب الذي عليه المدار .. وما كان بهذا المحلّ من الشَّرَف كان حَرَىً بأن توقظ له الهمم، وتوكل به النفوس، وتحرك له الأفكار وكان العاقل جديراً أن يربأ بنفسه وتدخل عليه الأنفة من أن يكون في سبيل المقلد الذي لا يبت حكما ولا يقتل الشيء علما، ولا يجد ما يبرئ من الشبهة، ويشفي غليل الشاك، وهو يستطيع أن يرتفع عن هذه المنزلة، ويباين من هو بهذه الصفة، فإن ذلك دليل ضعف الرأي وقصر الهمة ممن يختاره ويعمل عليه "(٦٤). والمعنى أن عبد القاهر يريد لقارئ البلاغة أن يناقش ويتساءل بإيجابية المهتدي بهدي أهل العلم، إذ يربأ عبد القاهر بقارئ البلاغة عن أن يرفض الاهتداء بهدي العلماء، والسير في ضوئهم، ويربأ به عن أن يقلد، ويدعوه إلى قتل الشيء علما حتى يشفي غليل الشاك، ولن يتأتى له هذا إلا بالتساؤل الإيجابي الدال على " الأمانة العقلية، والرغبة في الخضوع للموضوع، وتنحية الأهواء، واستقصاء التفاصيل، واتخاذ الإحساس وسيلة مشروعة للمعرفة، بتحديده، وتمييزه، ومراجعته، وتعليله ما أمكن التعليل(٦٥)

(٦٢) إشكاليات القراءة وآليات التأويل د / نصر حامد أبو زيد – الهيئة العامة لقصور الثقافة مصر كتابات نقدية أغسطس ١٩٩١ م صـ ١٤٩ .

(٦٣) دلائل الإعجاز صـ ٣٤، ٣٥

(٦٤) السابق صـ ٨٠، ٨١

(٦٥) في الميزان الجديد د / محمد مندور ص ١٨٤

المبحث الثاني: حتمية الحمية الدينية والعقلية لقارئ البلاغة في الدلائل

إن روح التساؤل التي حرص الإمام عبد القاهر على أن يتسم بها القارئ كانت ممزوجة بالحمية الدينية وهو ما تجلى في مواقع عديدة من دلائل الإعجاز، بدءاً من مدخله وفاتحته وانتهاءً بمتنه إذ نراه يقول وهو يكشف عن معاناته في إبراز ضرورة الوعي بأصول النحو للوعي بالنظم على أساس أنه ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض " **وقد وصلت بأخرة إلى كلام من أصغى إليه وتدبّرهُ تدبُّر ذي دين وفُتُوّة، دعاه إلى النظر في الكتاب الذي وضَعناه، وبعثه على طلب ما دوّنّاه** "(٦٦)

يكشف عبد القاهر في هذا النص عن معاناته في البحث عن مفتتح يجذب إلى كتابه المخلصين الجادين من أبناء أمته، ممن يجيدون الإصغاء والتدبر بإخلاص ذي الدين، والنهوض بهمة ذي الفتوة، ومن ثم كان حريصاً على أن يأخذ كتابُه سمت الكتب السِّجالية؛ فهو يريد قارئاً يقظاً حياً، يتمتع بالرشاقة العقلية، والحساسية البيانية مع الوعي بضرورة " أن ينظر مرات بعد مرات في كتاب دلائل الإعجاز وأن أشواقا حارة تعلق بالكتاب .... وهل تستطيع أن تُعْنَى بكتاب عبد القاهر بمعزل عن شوق جليل (٦٧)" .

إن حرص عبد القاهر على توثب قارئه وتوهجه المعرفي هو السبب في تحريضه له على المناقشة، ومن ثم وجدناه – بعد أن بين الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض، وأكد أنها معاني النحو يقول "**وإذا كان ذلك كذلك، فما جوابنا لخصم يقول لنا: إذا كانت هذه الأمور وهذه الوجوه من التعلق التي هي محصول النظم، موجودة في منثور كلام العرب ومنظومه، فما هذا الذي تجدّد بالقرآن من عظيم المزيّة ...الخ،؟ أيلزمنا أن نجيب الخصم عن سؤاله؟ فإن كان ذلك يلزمنا، فينبغي لكل ذي دين وعقل أن ينظر في الكتاب الذي وضعناه، ويستقصي التأمل لما أودعناه، فإنْ علم أنه الطريق إلى البيان، والكشف عن الحجة والبرهان، تبع الحق وأخذ به، وإن رأى له طريقا غيره، أومأ لنا إليه، ودلنا عليه، وهيهات ذلك**(٦٨).

---

(٦٦) دلائل الإعجاز صـ ٣، ٤

(٦٧) اللغة والتفسير والتواصل صـ ١١٤، ١١٥، ١١٧

(٦٨) دلائل الإعجاز صـ ٨، ٩ .

أود أن أؤكد أن عبد القاهر يمارس التفكير الموضوعي بقيم دينية كما يناقش القضايا الدينية بفكر العالم ذي العقلية الموضوعية ولذلك كثرت إشاراته في الدلائل إلى ضرورة الجمع في ثنائية منسجمة ومتناغمة بين الحمية الدينية والحمية العقلية ولا أطيل بذكر المواطن التي عول فيها على الحمية الدينية والعقلية؛ فهناك من النصوص في الدلائل ما لا يجهله المطلع على الدلائل[٦٩]

غاية ما يعنينا الآن أن نؤكد أن عبد القاهر اتخذ السؤال وسيلة رئيسة لإيقاظ وعي قارئه، حتى يدرك نفسه، ويدرك علمه، وما يجب عليه تجاهه من وعي بمناهجه وأهدافه.

إن عبد القاهر في النص السابق وغيره يستنهض همة الخصم؛ فدعاه إلى استحضار حميته الدينية ،وحميته العقلية في النظر إلى كتابه، الذي يحمل بين دفتيه الإجابة عن السؤال المشروع عقلاً ودينا، مبرزاً أن الدلائل يحتاج إلى أمانة عقلية تستدعي ضرورة استقصاء التأمل لما أودعه فيه من علم، ومؤكدا في نفس الوقت حق القارئ في الاختلاف معه، على شرط أن يكون أمينا مع نفسه؛ فإن علم أن هذا الكتاب بما يحويه من علم هو الطريق إلى البيان والكشف عن الحجة والبرهان؛ فمن حق عقله ودينه عليه أن يتَّبع الحق ويأخذ به، وإن رأى طريقاً غيره، فمن حقنا وحق علمه عليه أن يومئ لنا إليه، وأن يدلنا عليه، ثم ختم متحديا قارئه مدلا إدلال متثبت مما لديه، مستنهضا همة خصمه، لاستقصاء التأمل، وإمعان التدبر، لا إدلال ذي الحديث المختلق، المعجب بنفسه، المتنفج بما ليس عنده.

يعتمد عبد القاهر في اهتمامه بالحمية الدينية، والأمانة العقلية لقارئ البلاغة على الوعي بخصوصيتها المبنية على الذوق البياني، وأن أهلها يستشهدون على صحة ما يقولونه بقرائح المتلقين، وما يحسونه في أنفسهم، وهذا يؤكد الصلة الوثيقة بين "تجربة الأدب والتجربة الدينية"[٧٠] وهو ما لوحظ قديما وحديثا.

كأن عبد القاهر يدفع قارئه إلى الوعي بالمقروء سواء أكان نصا إبداعيا أم تراثا بلاغيا بل كان يدفعه إلى مناقشته ومصارعته ومجالدته "فالقراءة مجاهدة ينبغي أن تدل على المساءلة والحرص عليها"[٧١].

---

(٦٩) انظر دلائل الإعجاز صـ ١٠٩ .

(٧٠) اللغة والتفسير والتواصل صـ ١٦٢ .

(٧١) اللغة والتفسير والتواصل صـ ٢٩٤، ٢٩٥ .

ومن ثم كان سعيُه الدائم، لإيقاظ وعي قارئه، لمناقشته ومحاورته، واستعداده الدائم للتخلي عن آرائه إذا قُدِّم له الدليل على فساده أو خلله، وهكذا يحرص عبد القاهر على قارئ ذي دين، لأنه لم يُرِدْ لقارئه أن يتخلى عن أمانته العقلية، ونزاهة قيمه الدينية؛ فالفرق كبير بين من يأتي إلى النص التراثي ليفهمه بأمانة وموضوعية، ويحميه من التزييف وعيُه الديني، وأمانتُه العقلية، ووعيُه " بأن الحرية الحقة تتمثل في المجاهدة من أجل الخضوع للنص أو الشعور بأنك خادم له "[٧٢] وبين من ينقضّ على النص بهدف ممارسة السيطرة وتوجيهه وفق أيديولوجيته في بحثه خدمةً للصراع الأيديولوجي في عصرنا الحاضر " وما يفرضه هذا الصراع، في استجاباته الآلية، على كل الأطراف، من توظيف مرحلي (تكتيكي) للتراث، خدمة لأغراض كل طرف على حدة "[٧٣] إن عبد القاهر لا يتعامل، ولا يريد لقارئه أن يتعامل مع التراث، انطلاقا من مثل هذا التساؤل " : مَنْ سيمارس سلطته على الآخر، هل القارئ أم المقروء، هل نحن أم التراث؟ [٧٤] لأنه يريد لنا أن نصغي للأعمال التي نقرؤها، في ضوء قاعدته الذهبية " لئن أقصروا اللفظ لقد أطالوا المعنى "، وهذا يختلف منهجيا عمن يصغي " إصغاء الراغب في الانقضاض "[٧٥]، أو يدعو إلى " استيلاء القارئ على النص لضمه إلى مقتنياته الشخصية " [٧٦]، ولا مانع عنده من مناورة القارئ في قراءته التراثية، بهدف تفكيك سلطة الاعتراض لديه، ودفعه – باللجوء إلى استراتيجية لا تستنكف ولا تترفع عن توظيف المناورات لإقناع القارئ بمنهج ما[٧٧]؛ وهنا تتجلى مأساة الموضوعية والعقلانية الحداثية [٧٨]؛ فأيُّ مأساةٍ أكثرُ من مناورة القارئ، والسعي لتفكيك سلطة الاعتراض لديه ؟!!.

---

(٧٢) اللغة والتفسير والتواصل صـ١٧٣ .

(٧٣) قراءة التراث النقدى صـ٦٧ .

(٧٤) الحداثة والتراث صـ ٤٨ .

(٧٥) اللغة والتفسير والتواصل صـ ١٦٣ .

(٧٦) السابق صـ ١٧٣ .

(٧٧) انظر التراث والحداثة صـ ٤٨ .

(٧٨) انظر التراث والحداثة صـ ٥٤، ٥٥، ٥٦، ١٥٤ .

المبحث الثالث: حمية عبد القاهر الدينية وطبيعة الشعر بين إفهام عبد القاهر وفهم الحداثيين له

أود أن أشير إلى توقف الحداثيين أمام مسالة الحمية الدينية وربط عبد القاهر للشعر بالتعرف على إعجاز القرآن الكريم؛ إذ قال د/ نصر أبو زيد " يمكن أن نقول – نقداً لعبد القاهر – إنه يهون من قدر الشعر، وينزل به إلى أن يصبح مجرد دلالة وشاهد على إعجاز القرآن، كما يمكن أن نقول إن علم الشعر عنده مجرد علم ثانوي يخدم علما آخر دينيا هو علم إعجاز القرآن. لكن هذا النقد الذي يمكن أن نوجهه إلى الشيخ لا ينبغي أن يقلل في وعينا من قيمة المحاولة ذاتها. قد يقال إن هذا القصد التاريخي قد ترك على أفكار الشيخ ومفاهيمه بصمات واضحة لا نستطيع تجاهلها. وهذا أمر لا ننكره، ولكننا لا نتوقف أمامه طويلا في قراءتنا الراهنة "(٧٩).

أما سبب عنايتنا بهذه القضية؛ فيرجع إلى أن الدارس يرى مع عبد القاهر، أن الشعر يُعتبرُ نبع الذوق البياني ومعدنَه، ومن ثم لا يمكن أن تتشكل في الدلائل صورةٌ للقارئ بدونه، والادعاء بأن عبد القاهر يهوِّن من قدر الشعر يشوه تصوُّرَه للصورة المثلى للقارئ، ولقد انطلق عبد القاهر في كتابه الدلائل، من قضية محورية مُركّبة، شغلته وسيطرة على اهتمامه، وهي وثيقة الصلة بأدبية الأدب، وشاعرية الشعر من جهة، وبعقيدته الدينية من جهة أخرى، أما عقيدته الدينية فهي إيمانه بأن القرآن العظيم معجز ببلاغته، وأما علاقتها بشاعرية الشعر، وأدبية الأدب، فهي بارزة في إدراكه لطبقات الكلام، ومن ثم كانت القضية المحورية في الدلائل ممثلة في التساؤل عما تجدَّد بالقرآن من عظيم المزية، مع أنه لا يختلف عن غيره في وجوه تعلق الكلام، التي هي محصول النظم ؟ والسؤال المطروح على د/ أبو زيد هو: هل من المنطقي أن نتهم عبد القاهر بأنه يهوِّن من قدر الشعر لمجرد أنه تناول الشعر ضمن قضيته المحورية المتعلقة ببيان إعجاز القرآن ؟! وهل هما – إعجاز القرآن، وشاعرية الشعر – متناقضان، لدرجةٍ تجعلنا نتهم مَن يؤمن بإعجاز القرآن، بأنه لا يدرك شاعرية الشعر، ويهون من ثم من قدره، ومن يدرك شاعرية الشعر، يتهم بأنه يهون من قدر بلاغة القرآن، ولا يؤمن بإعجازه البلاغي ؟!

(٧٩) إشكاليات القراءة وآليات التأويل صـ ١٥٥ .

لاشك عندي أن أدلة منطق نصر أبو زيد في اتهامه لعبد القاهر بالتَّهْوين من قدر الشعر لا تختلف عن أدلة منطق محاكم التفتيش، غير أنها محاكم التفتيش الحداثية. وأما أدلتنا على أن عبد القاهر لم يهون من قدر الشعر؛ فتعتمد على إبراز عدة أمور **أولها**: أن الكاتب لم يُعِر دفاع عبد القاهر عن الشعر الاهتمام الكافي، مع أنه ممن يدركون جيدا الفرق بين المعنى والمغزى[٨٠] فضلا عن إدراكه لنظرية معنى المعنى عند عبد القاهر، ولو اهتم بمغزى هذا الدفاع عن الشعر لعلم أن عبد القاهر يقدر في الشعر شاعريته؛ وهل هناك أَجَلُّ من ربط دقائق الكلام وخواصه ولطائفه بالشعر، لدرجة أنه جعل الشعر معدنها، وعليه المعول فيها [٨١]، بل جعل الصادَّ عن الشعر صادا عن أن تعرف حجة الله تعالى، وكان مثْلُه عنده مثل من يتصدى للناس فيمنعهم عن أن يحفظوا كتاب الله "[٨٢] **الأمر الثاني** أن نصر أبا زيد استعان بنصٍّ لعبد القاهر في دراسته هذه يؤكد براءة عبد القاهر مما اتُّهم به وهو: - "**واعلم أنهم(العلماء) لم يعيبوا تقديم الكلام بمعناه، بل عابوه من حيث كان من حكم من قضى في جنس من الأجناس بفضل أو نقص، أن لا يعتبر في قضيته تلك إلا الأوصاف التي تخص ذلك الجنس وترجع إلى حقيقته، ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه** "[٨٣] والمعنى أن عبد القاهر يعلمنا أن جهة النظر إلى الكلام لمعرفة درجته البلاغية لا صلة لها بالفكرة وإنما بطريقة التعبير عنها وهو ما يعرف بشاعرية الشعر وأدبية الأدب، ولو تعلمنا من عبد القاهر منهجية البحث العلمي، التي تقوم على الاستقراء مثلما فعل مع الكندي الفيلسوف، حينما اتهم لغة العرب بالحشو، وقمنا باستقصاء واستقراء كتابيْ عبد القاهر قبل أن نصدر حكمنا النقدي عليه، بأنه يهون من قدر الشعر، لوجدنا نصوصا كثيرة، تؤكد تقديره للشعر، ووعيه بما يخص الشعر في ذاته ومن ذلك قوله: " **إذا نحن قلنا فإنما هي ذات إقبال وإدبار، أفسدنا الشعر على أنفسنا**

(٨٠) انظر السابق صـ ٤٦، ٤٧ .

(٨١) دلائل الإعجاز ص ٧

(٨٢) السابق ص ٩

(٨٣) دلائل الإعجاز صـ ٢٥٤ .

وخرجنا إلى شيء يعزل البلاغة عن سلطانها "[٨٤]، ثم يقول" . **ورأيت هنالك شعراً شاعراً وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المفلق، والخطيب المصقع"**[٨٥] ويقول "**رأيت كلاما مقلوبا عن جهته، ومغيرا عن صورته، ورأيت اللفظ قد نبا عن معناه، ورأيت الطبع يأبى أن يرضاه"**[٨٦] ويقول "ومما أتى مستكرها نابيا يتظلم منه المعنى وينكره"[٨٧] ويقول "**وهكذا شأن البيت، إذا أحسنت النظر وجدته - إذا لم تأخذه من طريق المثل - وهو يشكوك إلى طبع الشعر ورأيت المعنى يتألم ويتظلم ثم انظر هل كنت تجد إن كنت ممن يعرف طعم الشعر ويفرق بين التفه الذي لا يكون له طعم وبين الحلو اللذيذ"**[٨٨]. على أن هذه النصوص غيض من فيض[٨٩]، يؤكد وعي عبد القاهر -كما قلنا - بشاعرية الشعر، وأدبية الأدب، ولأنه يعي جيدا طبقات الكلام، ويتسم بالأمانة العلمية، والحمية الدينية لم يسمح لذوقه أن يسوي بين القرآن والشعر.

وأما أسرار البلاغة فلم يختلف الحال فيه عن الدلائل يقول فيه "وكذلك قوله: " **وكل امرئ يولى الجميل محبب صريح معنى ليس للشعر في جوهره وذاته نصيب،"**[٩٠] **وقوله" وكذلك قول من قال: خير الشعر أكذبه فهذا مراده لأن الشعر لا يكتسب من حيث هو شعر فضلا ونقصا وانحطاطا وارتفاعا بأن ينحل الوضيع صفة من الرفعة هو منها عارٍ ... ثم لم يعتبر ذلك في الشعر نفسه حيث تنتقد دنانيره وتنشر ديابيجه ومسكه فيضوع أريجه"**[٩١] **ويقول "وأنت إذا نظرت إلى الشعر من جهته الخاصة به وذقته بالحاسة المهيأة لمعرفة طعمه"**[٩٢].

---

(٨٤) دلائل الإعجاز صـ ٣٠٢ .

(٨٥) دلائل الإعجاز صـ ٣٠٦ .

(٨٦) السابق صـ ١٤٠ .

(٨٧) السابق صـ ٢٩٠ .

(٨٨) السابق صـ٣٣٣ .

(٨٩) انظر الدلائل صـ ١٦٢، ١٦٣

(٩٠) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق هـ . ريتر مكتبة المتنبي - القاهرة ط ٢ ١٩٧٩ م صـ ٢٤٤ .

(٩١) السابق صـ ٢٤٩ .

(٩٢) السابق صـ ٣٢٩ .

الأمر الثالث أن نصر أبا زيد لم يلتفت إلى الفصل الخاص الذي عقده عبد القاهر ونشره الشيخ شاكر في الدلائل ضمن رسائل وتعليقات عبد القاهر فهو الفصل الذي عقده تحت عنوان " **وهذه جملة من وصفهم الشعر وعمله، وإدلالهم به**"(٩٣). على أن عبد القاهر كان معنيا بالكشف عما يجعل كلاما يفضُل كلاما، **ثم يزداد فضله ذلك ويترقى منزلة فوق منزلة. حتى ينتهي إلى حيث تنقطع الأطماع، وتستوي الأقدام في العجز** "(٩٤). ولن أشير إلى الفرق في النسبة في الدلائل بين أمثلة الشعر وغيره من النصوص الأخرى التي اعتمد عليها عبد القاهر في بيانه التطبيقي لنظريته في النظم فهي أوضح من ذكرها.

غاية ما يعنينا أن نؤكد عليه الآن أن نصر أبا زيد لم ينشغل بهذا؛ لأنه مشغول "بطرح أسئلة معاصرة ربما لم تَخْطُر إجاباتها على بال الشيخ، ولا دار السؤال نفسه في خلده."(٩٥) وأنا بدوري ألح على القارئ النبيل أن يقرأ مقالة نصر ليرى بعيني عقله وبصيرته ما الذي طرحه أبو زيد على عبد القاهر من أسئلة ؟

وهكذا يمكن لنا أن نقول إذا كان قائل كل هذه الأقوال يُتَّهمُ بأنه يهوِّن من قدر الشعر؛ فمن الذي يرفع من قدره إذن ؟! أم أن القضية قضيةٌ أخرى تتصل بتاريخية القرآن ؟ غير أن هذا ليس مجالنا الآن.

إنني أخشى – في ظل دعاوى الحداثيين واتهامهم لتراثنا ودعوتهم للقطيعة معه معرفيا – أن يأتي اليوم الذي نضطر فيه لإثبات وعي عبد القاهر بأدبية الأدب وإدراكه للخصائص النوعية للشعر انطلاقا من النصوص السابقة؛ إذ النقد الحداثي يرى دوما تزامن وعي الأنا المحدثة في النقد الأدبي بذاتها وصعود المدرسة الشكلية الروسية وبخاصة ما صحب هذا الصعود من توهج الرغبة في خلق علم أدبي مستقل.؟.. دفعت رومان ياكبسون (١٨٩٦م – ١٩٨٢م) إلى صياغة المبدأ الشكلي الأساسي الذي أكد أن موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب وإنما الأدبية أي ما يجعل من عمل من الأعمال عملا أدبيا "(٩٦)

---

(٩٣) دلائل الإعجاز صـ ٥١١ .

(٩٤) السابق صـ ٣٥ .

(٩٥) إشكاليات القراءة وآليات التأويل صـ ١٥٣ .

(٩٦) نظريات معاصرة صـ ٢٧٧ .

إن الانبهار بالآخر، وعدم الثقة في التراث، والدعوة إلى القطيعة معه، أو السيطرة عليه بدل الإصغاء إليه فضلا عن مناورة القراء، وتفكيك سلطة الاعتراض لديهم، هو السبب في هذه المأساة الفكرية.

المبحث الرابع :- صورة القارئ في الدلائل في ضوء الأمانة العقلية والحمية الدينية

إن الأمانة العقلية والحمية الدينية لتبدو أول ما تبدو فيما ينسبه العالم إلى نفسه من إضافات علمية ولعل قول عبد القاهر نظما :-

ما من سبيل إلى إثبات معجزة في النظم إلا بما أصبحت أبديه

- يؤكد أن الرجل غير مدع؛ فهو يقرر أن القول بأن القرآن معجز بنظمه معروف مشهور يقول: " وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن ((النظم)) وتفخيم قدره، ...الخ "[٩٧]

لسنا في حاجة للتأكيد على أن هذا النص يشير إلى عدم انقطاع عبد القاهر معرفيا عن تراثه، بل إنه يؤكد تواصله مع تراثه واستضاءته به واهتداءه بهديه؛ فهذا النص يؤكد ما انتهت إليه النظرية النقدية الحديثة من " أن القارئ يجد نفسه بدون انقطاع وهو يستخدم مجموعة غير محدودة من الشفرات الثقافية، هذه الشفرات التي تشكل جزءاً كامنا في نص القارئ "[٩٨] إن إشارة عبد القاهر إلى ما قاله العلماء عن النظم يكشف عن الخلفية الثقافية التي يتكئ وينطلق منها في قراءته، بل إن التساؤلات التي تفجرها في نفسه هذه الخلفية تكتسب مشروعيتها من تواصلها مع جذورها المعرفية.، وتشير إلى كيفية وعيه بالتراث، ومن الأمثلة الدالة على تواصله المعرفي مع التراث البلاغي قبله، وبنائه على ما شيده السابقون عليه، فضلا عن سعيه لتصويب قراءته بما يجعله متناسقا مع المنظومة التراثية في كليتها قوله " وغلط الناس في هذا الباب كثير؛ فمن ذلك أنك تجد كثيرا ممن يتكلم في شأن البلاغة،. الخ " واعلم أنهم لم يعيبوا تقديم الكلام بمعناه من حيث جهلوا أن المعنى الخ، وقوله " واعلم أنك لست تنظر في كتاب صنف في شأن البلاغة وكلام جاء عن القدماء،

---

(٩٧) دلائل الإعجاز صـ ٨٠

(٩٨) نظريات القراءة صـ ١٢٠ .

الخ ويقول (واعلم أنهم لم يبلغوا في إنكار هذا المذهب ما بلغوه، إلا لأنه يفضى بصاحبه إلى أن ينكر الإعجاز. ويقول " ولا يغرنك قول الناس (قد أتى بالمعنى بعينه، وأخذ معنى كلامه فأداه على وجهه، فإنه تسامح منهم والمراد أنه أدى الغرض "، ويقول " فإذا رأيتهم يجعلون الألفاظ زينة للمعاني وحلية عليها فاعلم أنهم يصفون كلاما قد أعطاك المتكلم أغراضه فيه من طريق معنى المعنى "ويقول " ومن الصفات التي تجدهم يجرونها على (اللفظ)، ثم لا تعترضك شبهة ولا يكون منك توقف في أنها ليست له، ولكن لمعناه، قولهم: " لا يكون يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك وقولهم " يدخل في الأذن بلا إذن " فهذا مما لا يشك العاقل في أنه يرجع إلى دلالة المعنى على المعنى"(٩٩)

لا شك في دلالة هذه النصوص، على عدم انقطاعه معرفيا عن التراث قبله، كما أنها تدلنا على كيفية وعيه به، على أنه يتميز بلقانة البناء عليه؛ إذ حرص على إبراز التناسق المعرفي بين مقولات التراث من جهة و انسجامها في قراءته لها مع مشروعه الفكري المتمثل في فهمه للنظم من جهة أخرى.

والمعنى أن عبد القاهر كان يعي أن إضافته تكمن في بيان وتحديد المراد بالنظم، بالإضافة إلى تفريعاته العلمية عليه، وهو ما ارتقى بالنظم إلى مستوى النظرية العلمية الراسخة. وقد روج عبد القاهر لها ورسخها أصولا وفروعا بتطبيقاته عليها إبان بيانه لها، ولذلك أكد ضرورة التعويل عليها لإثبات الإعجاز

وإذا كان عبد القاهر قد نادى بلاغيا بنظرية النظم المؤَسَّس لها على معاني النحو، والذوق البياني، وقصْد المتكلم ،في عصرٍ ضجت أجواؤه من خلافات علماء فرق الكلام؛ فلاشك إذن في أنه صَدَرَ في آرائه تلك عن هذه الأجواء، وهو ما تجلَّى تلميحاً وتصريحاً في كتابه الدلائل، غير أن بعض المهتمين بقراءة التراث قراءة عصرية كي يبيحوا لأنفسهم الانقضاض على التراث يحلو لهم تصوير عبد القاهر باعتباره قارئا لتراث أمته وفق منظومته الفكرية على أساس أنه " يقيم بناءه الفكري في الثقافة العربية التي ينتمي إليها

(٩٩) انظر دلائل الإعجاز صـ١٢،٢٤٩، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦١ ٢٦٣، ٢٦٧

خلال عمليتين تبدوان متعارضتين: هما الهدم والبناء، أو هما الإثبات والنفي، حيث يتم الإثبات بالتأويل، ويتحقق النفي بالإنكار. إن ما يفعله عبد القاهر في التراث السابق عليه هو ما ننوى أن نقوم به نحن مع عبدالقاهر، ولذلك قلنا إننا سنطرح أسئلة معاصرة لم تخطر إجاباتها على بال الشيخ "[١٠٠].

لم يلاحظ صاحب هذه الدراسة ولم يشر إلى طبيعة ما نفاه عبد القاهر من مفاهيم، أقل ما يقال عنها إنها تصور ساذج للفصاحة والبلاغة؛ وهل هناك ما يستحق النفي ممن هو أقل قدرا من عبد القاهر من قولهم عن علم البلاغة :- "**وإنما هو خبر واستخبار.. يسمع الفصاحة والبلاغة فلا يعرف لها معنى سوى الإطناب في القول، وأن يكون المتكلم في ذلك جهير الصوت**"[١٠١] فهل ما سوف ينفيه أبو زيد من مفاهيم عبد القاهر يتساوى في تهافته مع ما نفاه عبد القاهر من مفاهيم سابقيه؟! أم أننا نريد رسم صورة لقارئ التراث البلاغي تتنافى تماما مع الصورة التي رسمها عبد القاهر لقارئها ؟. إن عبد القاهر كان حريصا على رسم الملامح الذهنية والروحية للقارئ الذي يتمناه لكتابه، وأهم ما يمكن استخلاصه من هذه الملامح

أولا: حرصه في قارئه على أن يكون مفعما بالقلق المعرفي

ثانيا: حرصه في قارئه على أن يكون شغوفا بالقناعة العقلية .

ثالثا: حرصه في قارئه على أن يكون نفورا من التقليد .

المحور الثالث: القلق المعرفي والقلق المنهجي النظري والتطبيقي عند عبد القاهر

المبحث الأول: - القلق المعرفي والقلق المنهجي أساسا التفكير البلاغي للقارئ عند عبد القاهر

يستطيع كل من يقرأ دلائل الإعجاز؛ بأناة وروية، أن يشاهد ببصيرته، حركة عقل عبد القاهر فيما قبل كتابة الدلائل، وإبان كتابته له؛ وذلك لأنه استطاع ببراعة- أن يشير

(١٠٠) إشكاليات القراءة وآاليات التأويل صـ ١٥٣ .

(١٠١) دلائل الإعجاز صـ ٦، ٧

إلى معاناته وطبيعتها فيما قبل الكتابة وإبانها كاشفاً عن أصالته الفكرية ، ودقة خطواته المنهجية.

أما أصالته الفكرية فتجلت في قلقه المعرفي، باعتباره عندنا الدليل الحي على أصالته الفكرية تلك؛ فلم يكن مفتعلاً، بل كان ملازما لعبد القاهر في رحلته، مع تراث أمته قراءةً، ومناقشةً، وإبداعاً رائعاً في إطاره، وابتكاراً راقياً في ظلاله، ولعل أول ما يلفت في هذا القلق المعرفي حرصه على قارئ لكتابه يتسم بهذا القلق المعرفي، وذلك في مدخل الدلائل، وفي فاتحة المصنف فضلاً عن متن الكتاب في مواضع عديدة وقد أشرنا إلى هذا إبان تناولنا للحمية الدينية والعقلية لقارئه، ونؤكد أن القلق المعرفي والمنهجي في كتاب الدلائل سمة بارزة حينا ومتوارية حينا آخر؛ بارزة حين يقول: "**إن التوق إلى أن تقر الأمور قرارها**"(١٠٢) **وحين يرى أن القارئ هو "من شأنه التوق إلى أن يعرف الأشياء على حقائقها**...الخ)(١٠٣).

أما القلق المتواري المبطّن لكل فقرات الكتاب، فهو مدلول عليه بالتساؤلات الباحثة عن إجابات تدل على الرغبة العارمة في اقتلاع جذور الشك المعرفي الإيجابي من نفس قارئه وهو ما لاحظه د/ ناصف حين قال "والكتاب مملوء أيضا بالتعبير عما يشبه القلق الذي لا يفضه عبد القاهر بطريقة واضحة ولو كان كتاب عبد القاهر واضحا وضوحا تاما لما استطاع أن يعيش حيا في العقول هذا الزمن المديد"(١٠٤).

ونؤكد أن هذا مبثوث في الدلائل كله بدءاً من فاتحته وانتهاءً بخاتمته، ولعل خطبة الكتاب تكشف لنا عن سرِّ اهتمامه بهذا القارئ ذي المواصفات الخاصة جداً؛ فالصدق، والحق،، والصواب، والاحتكام إلى ما تصححه العقول وتقبله الألباب محور حركة فكره البلاغي، ولا يصابر مثل هذا إلا قارئ على شاكلته ينفر من الادعاء بما لا يعلم، مثلما ينفر ممن لا يُسدِّي قولا ولا يُلحمه؛ فهؤلاء الذين يدعون العلم بما لا يُعلَمُ ويُسِدُّون القول ولا يُلحمونه غالبا ما يغترون بالكاذب من الثناء، وينخدعون للمتجوِّز معهم في الإطراء؛ فيسلكون سبيل

(١٠٢) السابق ص ٣٤

(١٠٣) دلائل الإعجاز صـ ١٧١ .

(١٠٤) اللغة والتفسير والتواصل صـ ١١٢ .

من يعجبه أن يجادل بالباطل ويموه على السامع دون تدبر في العواقب؛ فكل ما يعنيه أن يروج عنه القول ولا يبالى بعد ذلك أن يكون قد خلط فيه، ولم يُسَدِّد في معانيه .[١٠٥]

كأني بعبد القاهر يشير إلى هموم القراءة والقارئ في كل عصر؛ فهو يعاني من المدعين بلا علم مثلما يعاني من المتبعين بلا تمعن؛ و من ثم حرص على إيقاظ القارئ وتنبيهه " ولا يزال موضوع إيقاظ القارئ وتحفيزه ذا صورة معقدة "[١٠٦] غير أنه " من علامات نضج القارئ العام تشوقه، بين وقت وآخر، لهذه الدقة وتبجيله الواعي لمقتضياتها "[١٠٧]. ولقد قال النقاد في ضوء وعيهم بقيمة التوق ودلالته عند عبد القاهر " هل تستطيع أن تُعْنَى بكتاب عبد القاهر بمعزل عن شوق جليل "[١٠٨] لا شك أن السؤال بلاغي؛ إذ المراد به التقرير على أن القلق المعرفي والمنهجي، الباحثَ عن القناعة العقلية، مشروط بالنفور من التقليد، ومن هذا المنطلق وعلى هذا الأساس "كان القارئ الخبير معترفا به على الدوام وكان المفسرون البلاغيون يشعرون بضرورة تحديد المخاطب"[١٠٩]

يتضح إذن لمن يقرأ فاتحة عبد القاهر، أنه يشير فيها بجلاء إلى فرق ما بين حركة عقله البلاغي المفعم بالقلق المعرفي، المتشوق إلى الصدق والحق والصواب، وما يعقل ويقبل، وبين حركة أدعياء العلم الذين يقولون في العلم ما لا يكمل ولا يقبل، ومن ثم كان تأكيده على أن البلاغة في حاجة إلى قارئ يطرح عن نفسه ثوب التقليد، **تواق إلى أن تقر الأمور قرارها**[١١٠]، **فلا يقنع في العلوم بالغمغمة التي لا تبين**[١١١] **ولا بالقول المجمل الذي لا يشفى من شاك غليلا**[١١٢] بل هو يسعى لمجاوزة أولئك الذين يعرفون

---

(١٠٥) انظر الدلائل ص ٣

(١٠٦) اللغة والتفسير والتواصل صـ ١٥ .

(١٠٧) السابق صـ ١٥ .

(١٠٨) السابق ص ١١٧

(١٠٩) اللغة والتفسير والتواصل ص ٢٢١

(١١٠) انظر دلائل الإعجاز صـ ٣٤ .

(١١١) انظر السابق صـ ٣٤ .

(١١٢) انظر السابق صـ ٣٦، ٥٤ ٤.

في العلوم الخطأ من الصواب، ويفصلون بين الإساءة والإحسان إلى المفاضلة بين الإحسان والإحسان، ومعرفة طبقات المحسنين مؤمنين بما هو أشبه بالفتى في عقله ودينه، وأزيد له في عمله ويقينه، من الحرص على البحث والاستقصاء والتتبع :- **" حتى يعرف كلا بشاهده ودليله ويعلمه بتفسيره وتأويله، ويوثق بتصويره وتمثيله ولا يكون كمن قيل فيه**:-

يقـولـون أقـوالا ولا يعلمـونهـا ولو قيل هاتوا حققوا، لم يحققوا[١١٣]

إن عبد القاهر معْنيٌّ، برسم صورة عقلية نفسية إيمانية لقارئه، بما يؤكد أن له حقا علي العالم، وهو أن يُبَصّرَهُ بما يجب عليه، إزاء ما يريد أن يتعلمه ليُعَلِّمه، فكما أكد أن للعلم حقَّ الصديق على العالم[١١٤] أكد في جل كتاب الدلائل على حقّ القارئ على العالم، ورسم صورته التي يرتضيها له بدءاً من **التَّوْق إلى أن تقرَّ الأُمور قرارها**[١١٥] وهو ما أطلقنا عليه القلق المعرفي والقلق المنهجي النظري والتطبيقي.

وإذا كان لنا أن نشير إلى علامات القلق المعرفي عند عبد القاهر فيمكن تلخيصها في:

أولا: السعي إلى التعرف على طبيعة العلم الذي نتصدى له بالدراسة، وهو ما أكد عليه مرارا؛ حيث يقول :- **"إنها صنعة يستعان عليها بالفكرة، وتتعلق بما يستخرج بالروية**[١١٦]**، فالمزايا "من حيز المعاني دون الألفاظ، وأنها ليست لك حيث تسمع بأذنك، بل حيث تنظر بقلبك، وتستعين بفكرك.."**[١١٧]

ثانيا: السعي للوعي بطبيعة ما قيل فيه تراثيا، والوعي بجهة الاستعصاء فيه، وهو ما تجلى في قوله "ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة، وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء ،والإشارة في خفاء، وبعضه

(١١٣) انظر السابق صـ ٤٠ .

(١١٤) انظر السابق صـ ٣٣

(١١٥) انظر السابق صـ ٣٤، ٨٠، ٨١، ٥٥٠، ٥٥١

(١١٦) السابق ص ٥١

(١١٧) دلائل الإعجاز صـ ٦٤، ٣٩٥، ٣٩٩ .

كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب، ..الخ، وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه، وتوضع لك القاعدة لتبنى عليها"(١١٨)

والمعنى أن عبد القاهر تعرف على التراث البلاغي قبله، ووقف على طبيعته المجازية، والإيجازية، وحدد طبيعة نظرته إليه؛ فهو يفتح الطرق لنسلكه، ويضع القاعدة لنبني عليها، ومن هذا المنطلق كان تناوله، لجهة الاستعصاء فيه، وسبب ذلك، وكيفية التخلص من عقباته ووعيه بضرورة التسليم بخصوصياته فقال عن التأليف في علم الفصاحة والبيان بدئا وأخيرا: - **"إنك إذا قرأت ما قاله العلماء فيه، وجدت جله أو كله رمزا ووحيا، وكناية وتعريضا، وإيماء إلى الغرض من وجه لا يفطن له إلا من غلغل الفكر وأدق النظر، ومن يرجع من طبعه إلى ألمعية يقوى معها على الغامض، حتى كأن بسلا حراما أن تتجلى معانيهم سافرة الأوجه لا نقاب لها، وحتى كأن الإفصاح بها حرام، وذكرها إلا على سبيل الكناية والتعريض غير سائغ"**(١١٩). والمعنى أن عبد القاهر مع محاربته للتقليد لم يدع إلى القطيعة المعرفية مع التراث؛ فهو أعقل وأجل من هذا، ولم يدع إلى الحرب مع سابقيه حتى يسيطر عليهم قبل أن يسيطروا عليه، وإنما حدد المعضلة في المجاز والإيجاز، وهو يشير إلى كيفية قراءته بما يؤكد ثقته فيه، والنصوص الدالة على ذلك كثيرة.

أما وعيه بجهة الاستعصاء في علم البلاغة فهو ماثل في قوله "وينبغي أن نأخذ الآن في تفصيل أمر المزية، وبيان الجهات التي منها تعرض، وإنه لمرام صعب ومطلب عسير، ولولا أنه على ذلك، لما وجدت الناس بين منكر له من أصله، ومتحيل له على غير وجهه، ومعتقد أنه باب لا تقوى عليه العبارة، ...وأن ليس للواصف لها إلا أن يلوح ويشير، أو يضرب مثلا ينبئ عن حسن قد عرفه على الجملة"(١٢٠).

---

(١١٨) السابق صـ ٣٤ .

(١١٩) دلائل الإعجاز صـ ٤٥٥

(١٢٠) السابق صـ ٦٤، ٦٥ . وينظر كذلك ص٤٣٥ على أني أؤكد أن النصوص التي تشير إلى معاناة البلاغيين في تصوير ما غمُض من المعاني ولطُف كثيرة وبخاصة مع عامة الناس من جهة ومع الذين حرموا الذوق البياني من جهة أخرى ومن ثم كانوا في حاجة إلى من إذا نبهوه تنبه .

والمعنى أن العناء يكمن في التعبير عن المزايا البلاغية للمخاطب، فهي في حاجة إلى ذي ذوق ومعرفة، ويؤكد هذا ما أشار إليه من أن جهة الاستعصاء الأخرى في علم البلاغة تكمن في أن:-"المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانها وتصور لهم شأنها، أمور خفية، ومعان روحانية، أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها، وتحدث له علما بها، حتى يكون مهيئا لإدراكها، وتكون فيه طبيعة قابلة لها، ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساسا بأن من شأن هذه الوجوه والفروق أن تعرض فيها المزية على الجملة والبلاء والداء العياء، أن هذا الإحساس قليل في الناس الخ[١٢١]

كذلك نراه يكشف عن معاناة العالم نفسه مع لطائف علم البلاغة فيقول: "**إنك لتُتْعِبُ في الشيء نفسك، وتكد فيه فكرك، حتى إذا قلت قد قتلته علما، وأحكمته فهما، كنت بالذي لا يزال يتراءى لك فيه من شبهة ويعرض فيه من شك كما قال أبو نواس.. فظني كلا ظني وعلمي كلا علمي وإنك لتنظر في البيت دهرا طويلا وتفسره، ثم يبدو لك فيه أمر خفي لم تكن قد علمته**"[١٢٢]

لا شك أن هذا هو الوعي الهادئ بالذات الذي يشكك بل يمحو الادعاء الزائف بأن وعي النقد بنفسه سمة عصرية[١٢٣] ولكن ما الحيلة مع أولئك الذين لا يدورون إلا في فلك أكذوبة المركزية الأوربية؟!!.

أما العلامة الثالثة من علامات القلق المعرفي المحمود في قارئ البلاغة عند عبد القاهر فهي:-

السعي لقراءة التراث البلاغي قبله قراءة حرة تنأى **بصاحبها عن التقليد المزري بعقله** مهما كان شأن وصيت من يقلدهم، وهو ما تجلى في رفضه **التقليد** على مستويين تمثل **أولها في تقليد القدماء**[١٢٤] **وتمثل ثانيهما في تقليد المعاصرين ممن لهم**

(١٢١) دلائل الإعجاز صـ ٥٤٧، ٥٤٩. وانظر صـ ٢٩١، ٥٥٠، ٦٢٧ .

(١٢٢) السابق ص ٥٥١

(١٢٣) انظر نظريات معاصرة جابر عصفور صـ ٢٦٧ وقراءة النقد الأدبي جابر عصفور صـ ١١ : ٣٣.

(١٢٤) دلائل الإعجاز ص ٤٥٥، ٤٥٦

صيت وعلو شأن في غير علم البلاغة(١٢٥) على أنه لم يدع إلى القطيعة المعرفية مع التراث بل المتدبر لكلامه – في توصيفه لكلام القدماء – يجد قناعته العميقة بأمرين:– أولا: ضرورة البناء على ما قالوه؛ فبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج، وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه، وتوضع لك القاعدة لتبنى عليها. ثانيا :الإشارة إلى طبيعته الكنائية* والتعريضية والتمثيلية للتنبيه إلى دقته وغموضه، في نفسه، ودقة ولطف موضوعه، وهو ما انعكس في طريقة التعبير عنه؛ ومن ثم دعانا إلى ملاحظة طبيعته تلك في تحديد كيفية قراءته يقول: " **وعَلِمْنا أنهم لئن أقصروا اللفظ لقد أطالوا المعنى .الخ** "(١٢٦) بل يدعونا إلى الرَّوِيَّة في الوعي بما قالوه:– "**فلم تضق العبارة ولم ينغلق الكلام في هذا الباب إلا لأنه قد تناهى في الغموض والخفاء إلى أقصى الغايات**"(١٢٧)*

ومن ثم كان حريصا على توصيف المعضلة، ووضع الحل المقنع، الذي لم ير فرقا، بين آليات قراءة التراث البلاغي، وقراءة النصوص الأدبية، انطلاقا من اشتراكهما، في توظيف اللغة المجازية:يقول :– "**ووجدت المعول على أن ههنا نظما وترتيبا، وتأليفا وتركيبا، وصياغة وتصويرا، ونسجا وتحبيرا، وأن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه، سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها**"(١٢٨).*

---

(١٢٥) الدلائل صـ ٤٨٢ .

* انظر الدلائل ص٥٣ يقول "استعاروا النسج ..لنفس ما استعاروا له النظم وذلك تشبيه وتمثيل وص ٦٤ يقول "تجوزوا فكنوا"الخ

(١٢٦) دلائل الإعجاز صـ ٣٥ .أشار عبد القاهر في الدلائل إلى اعتماد البلاغيين للتشبيه التمثيلي والمجاز في كلامهم النقدي ص ٤٩، ٥٠، ٦٤، ٣٧٠، ٣٦٢، ٣٣٧، ٥٠٨، والمعنى أن القارئ مدعوٌ لملاحظة هذا في الفهم عنهم، مع التماس العذر لهم؛ فهي معان روحانية خفية تعتمد مع التعليل على الذائقة .

(١٢٧) السابق صـ ٢٧١ .

* اعتمد عبد القاهر نفسه التشبيهات التمثيلية في بيانه لمراده ومن ذلك ص ٤١٢، ٤١٣، ٤٢٢، ٥٠٨ الخ وصلة هذا بالذوق وما تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة لا تخفى على أن عبد القاهر رأس في الدعوة إلى التعليل ولكن المتزنين من أهل البلاغة لا يغالون فيما يدعون إليه

(١٢٨) السابق صـ ٣٤، ٣٥ .

* هذا نص من النصوص الدالة على وعي عبد القاهر بأن قراءة النقد لا تختلف عن قراءة الشعر والأدب الرفيع

وهكذا يتضح أنه يريد منا، أن نقرأ إشارات القدماء البلاغية والنقدية، بنفس الآليات والوسائل التي نقرأ بها الأعمال الشعرية والإبداعية، ولم يمنعه عسر البلاغة من محاولة تعبيد الطريق وتمهيده للسالكين [١٢٩] فاستطاع ببصيرته الثاقبة أن يجمل ما يجلب القلق المعرفي والمنهجي في أمرين:

أولهما: ضرورة التعليل العلمي لما يحسه في نفسه من فرق بين نظم ونظم.

ثانيهما في: صقل الذوق البياني وإرهافه للقارئ حتى إذا ما نبهته تنبه، وكأنه كان على ذكر دائم لقول الآمدي :- " فإن قلت إنك قد انتهى بك التأمل إلى علم ما علموه لم يقبل ذلك منك حتى تذكر العلل والأسباب "[١٣٠] كما أنه على وعى بقوله أيضا :- " وأذكر من علل الجميع ما ينتهي إليه التلخيص وتحيط به العبارة، ويبقى ما لا يمكن إخراجه إلى البيان ولا إظهاره إلى الاحتجاج، وهى علة مالا يعرف إلا بالدربة، ودائم التجربة وطول الملابسة"[١٣١]

لا شك أن عبد القاهر، كان ممن يرون أن للبلاغة أهلها وذويها، وأن الذوق البياني يمثل القطب الذي تدور عليه رحاها، لدرجة أنه لم يملك مع مَنْ عَدِمَ الذوق والمعرفة إلا السكوت عنه وتركه وما يختاره يقول: - إنك "**لا تفهم هذا الشأن مَنْ لم يؤت الآلة التي بها يفهم**"[١٣٢]. كأنه يحدثنا بمنطق إسحق الموصلي حين سأله الخليفة أن يصف له الأنغام فعول على الذوق الذي يدرك الدقائق ويُحِسّ "**بما تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة**"[١٣٣]، وإلا فما معنى قوله:- "**وهو من سحر البيان الذي تقصر العبارة عن**

---

(١٢٩) انظر الدلائل ٣٤، ٣٥ وأخص" وأن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها، وانظر ص ٤٩

(١٣٠) الموازنة بين أبى تمام والبحتري للآمدي تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد دار الباز للطباعة والنشر مصر د . ت صـ ٣٧٧

(١٣١) السابق صـ ٣٧٢، ٣٧٣

(١٣٢) دلائل الإعجاز صـ ٥٥٠، وانظر صـ ٢٩١، ٥٤٩، ٦٢٦ .

(١٣٣) في الميزان الجديد صـ ١٩٤ .

تأدية حقه، والمعول فيه على مراجعة النفس واستقصاء التأمل"[١٣٤] وما معنى تعويله في كثير من النصوص على ذوق المتلقي، ووعيه بموقع ما يقرؤه في نفسه[١٣٥]؟ ومن هذا المنطلق عرض في البداية ما يحتاجه علم البلاغة من وعي بجناحيه اللذين يحلق بهما البلاغي في آفاق النصوص الرفيعة وهما:- **أولا: النحو باعتباره أساس التعليل العلمي للدقائق الفكرية والرقائق الشعورية التي تنهض بها البلاغة.**

ثانيا: الشعر باعتباره رمز الحساسية البيانية، وصقل الذائقة البلاغية عند المتلقي، على أنه أكد بعد ذلك مرارا، على خصوصية علاقة البلاغة بالقرآن، مشيرا إلى ما يلزم هذا من شدَّة الحرص وبالغ الحذر؛ إذ صلة البلاغة بالتفسير وتعاطي التأويل[١٣٦] مما لا ينكره أحد، ومنْ ثم كانت صرخته " ما الآفة العظمى إلا واحدة، وهى أن يجئ من الإنسان ويجرىَ لفظُه ويمشى له أن يكثرٍ في غير تحصيل وأن يحسِّن البناء على غير أساس، وأن يقول الشيء لم يقتله علما "[١٣٧].

ولقد أسس عبد القاهر على هذا كله صفات القارئ الذي تتطلبه البلاغة، مشيرا إلى أولئك الذين لا يكلمهم، **وهم أولئك الذين أنسوا بالتقليد**"[١٣٨]، أو كانوا ممن ينكرون، أن لإحدى العبارتين حسنا ومزية لا يكون في الأخرى، إذا ما اشتركتا في التعبير عن أصل المعنى، من قبيل الفرق بين قولهم (**الطبع لا يتغير**) **وقول المتنبي:**

يُرَادُ من القلب نسيانُكُم وتأبى الطباعُ على الناقلِ"[١٣٩]

"**فمن أداه قول يقوله إلى مثل هذا، كان الكلام معه محالا، وكنت إذا كلفته أن يعرف، كمن يكلف أن يميز بحور الشعر بعضها من بعض من ليس له ذوق يقيم**

---

(١٣٤) دلائل الإعجاز صـ ١٨٣ .

(١٣٥) انظر الدلائل صـ ١٥١ .

(١٣٦) دلائل الإعجاز صـ ٣٢، ٤١ .

(١٣٧) دلائل الإعجاز صـ ٣٢، ٣٣ .

(١٣٨) دلائل الإعجاز صـ ٦٤ .

(١٣٩) دلائل الإعجاز صـ ٤٢٣ .

الشعر من أصله"[١٤٠]، **"فلا يجهل المزية فيه إلا عديم الحسّ ميّت النفس، وإلا مَن لا يكُلَّم، لأنه من مبادئ المعرفة التي من عدمها لم يكن للكلام معه معنى"**[١٤١]؛ **فالبلاغة شديدة الخصوصية عنده " لا يتبين أسرارها إلا من كان مُلْهَب الطبع حاد القريحة** [١٤٢]**"**.

المبحث الثاني: الذائقة البياني روح الصورة المثلى للقارئ عند عبد القاهر

أشرنا في المبحث الأول من المحور الثاني إلى أهم صفتين من صفات القارئ المثالي عند عبد القاهر وتناولنا التساؤل ووضع الإشكال باعتباره الصفة الأولى وأما الصفة الثانية فقد وعدنا بتناولها هنا بالتفصيل وهي تكمن في " الذوق الشخصي الذي هو مرجعنا الأخير في دراسة الأدب ويجب أن يظل ذلك المرجع "[١٤٣] يقول عبد القاهر **"ليس من بصير عارف بجوهر الكلام، حساس متفهم لسر هذا الشأن، ينشد أو يقرأ هذه الأبيات، إلا لم يلبث أن يضع يده في كل بيت منها على الموضع الذي أشرت إليه، يَعْجب ويُعَجِّب ويكبر شأن المزية فيه والفضل "**[١٤٤] **ويقول معولا على الذائقة البيانية المصقولة " فتأمل الآن هذه الأبيات كلها، واستقرها واحدا واحدا، وانظر إلى موقعها في نفسك، وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها، ثم فليت النفس عما تجد، وألطفت النظر فيما تحس به. فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت"**[١٤٥]

إن قارئ البلاغة عند عبد القاهر، يجب أن يجمع بين العلم بموضوعيته، والذوق بروحانيته وحساسيته، **ومن ثم افتتح كتابه الدلائل بالدفاع عن الشعر، باعتباره رمز الذائقة**

---

(١٤٠) دلائل الإعجاز صـ ٤٢٤ .

(١٤١) دلائل الإعجاز صـ ٤٣٠

(١٤٢) السابق ص ٤٥١

(١٤٣) فى الميزان الجديد صـ ١٩٣ .

(١٤٤) دلائل الإعجاز صـ ٩٢ .

(١٤٥) دلائل الإعجاز صـ ١٥١. وانظر أيضا ص ٤٢ حيث يقول "راجع نفسك، واسبر وذق، لتجد مثل الذي وجدتُ"

البيانية، والنحو باعتباره رمز العلم والموضوعية، كما أنه عنى كثيرا في الدلائل بالجمع بين الكلام عن نظرية النظم، والكلام عن الذوق والمعرفة، باعتبار ذلك شرطا فيمن يتصدى لقراءة البلاغة يقول:- "واعلم أنه لا يصادق القول في هذا الباب موقعا من السامع، ولا يجد لديه قبولا، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام، فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى، وحتى إذا عجَّبْتَهُ عجب، وإذا نبهته لموضع المزية انتبه "(١٤٦) على أن " البلاء والداء العياء، أن هذا الإحساس قليل في الناس .. وليس علم الفصاحة وتمييز بعض الكلام من بعض بالذي تستطيع أن تفهمه من شئت ومتى شئت، ولست تملك من أمرك شيئا حتى تظفر بمن له طبع إذا قدحته وَرِيَ، وقلب إذا أريته رأى"(١٤٧)

أي أنه لا غنى للبلاغي عن الذوق في الفهم والإفهام.

غير أن أنصار القراءة الحداثية للتراث، في عصرنا، يسخرون من الرؤى النقدية، التي تعول على الذوق، مصنفين إياها ضمن " نظرية التعبير، تلك التي كانت صياغة نقدية للرومانسية .. وحاولت أن تفتش في تراثها عن صدى له، على نحو تحول معه هذا التفتيش إلى بحث عن صورة منعكسة في مرآة التراث للأقانيم الثلاثة للذات :(الذوق، والإحساس، الشعور)... وبقدر ما انطوت هذه القراءة الإسقاطية على عملية تقييم حادة، فإنها قد رفعت من شأن الذوق لتهبط بالنظر، وأعلت من الطبع على حساب الصنعة، وقرنت النقد بالفن لترقى به على العلم، وتسامت بالنقد التطبيقي على النقد النظري"(١٤٨) وبقدر ما سخروا من التعويل على الذائقة، وصنفوا أصحابها بأنهم أصحاب النزعة الانطباعية اللاعقلية، احتفوْا بالقراءة التي تؤكد على النزعة العقلية الوضعية، المضادة والمؤكدة للنظر والتعليل ؛فهي تعلى من صلة النقد الأدبي بالفلسفة، وفى الوقت نفسه تنحدر بالآمدي الناقد التطبيقي الانطباعي.

وهكذا كانت هذه القراءة "منطلقة من إطار مرجعي كأنه النقيض الحاسم للإطار الذي

---

(١٤٦) دلائل الإعجاز صـ ٢٩١ .

(١٤٧) دلائل الإعجاز صـ ٥٤٩، ٥٥٠، ٦٢٦ .

(١٤٨) قراءة التراث النقدى . جابر عصفور صـ ٢٦، ٢٧، ٢٨ .

انطلق منه نمط السلسلة التي بدأت بطه حسين والخولي وطه إبراهيم واستمرت متواصلة مع مندور، ومن تابعه تقليدا أو محاكاة، بوعي أو دون وعي، إطار مرجعي نزعته التاريخية ملتبسة بنزعة وضعية، تؤمن بالنظرة المحايدة إلى الموضوع إيمانها بالشرط التاريخي الفاعل والحتمي في آن "[١٤٩].

غير أن التأمل في كتابات هؤلاء بدءاً بالآمدي وانتهاء بمندور وتوقفا أمام إنجاز عبد القاهر يتضح أنهم جميعا احتفوا بالتعليل غير أن الشعر والأدب بصفة عامة فيه ما لا يمكن التعبير عنه ومالا يعوَّلُ فيه إلا على ذائقة المتلقي **وما احتفاؤهم بالنحو والشعر إلا لأن الأول (النحو) يمثل التعليل العلمي للظاهرة البلاغية، وإلا لأن الثاني (الشعر) يمثل الذائقة البيانية (روح العربية)**، على أنهم لم يُهْمِلُوا البحث عن العلة، إذا ما استعصت عليهم العلة في بعض ما يتأبَّى على التعليل؛ قال عبد القاهر "**واعلم أنه ليس إذا لم تمكن معرفة الكل، وجب ترك النظر في الكل، وأن تعرف العلة والسبب فيما يمكنك معرفة ذلك فيه وإن قل فتجعله شاهدا فيما لم تعرف**"[١٥٠] ومن ثم كان إجلالهم للنحو والملاحظات اللغوية وربطهم ذلك بالإحساس لدرجة أنه "قد اتهم بعضهم بعضا بتجاهل روح العربية أو الذوق القرآني"[١٥١] ومن ثم كانت دعوة أهل العلم إلى ملاحظة العلاقة بين الملاحظات اللغوية والحساسية البيانية إذ " يجب أن نذكر دائما علاقة الملاحظات اللغوية في التراث بما نسميه الإحساس الروحي "[١٥٢] وهل نستطيع أن نعنى بكتاب عبد القاهر بمعزل عن شوق جليل، قد أحب أن أهدى هذه الصحف القليلة إلى الذين يتناسون عمق البعد الروحي في تصور اللغة ونشاطها .... لقد ظهر النزاع بين مطلب التذوق وروح العلم في وقت مبكر من العصر الحديث في عالمنا العربي ... وربما كان الشيخ الإمام محمد عبده أول داع إلى التذوق أو الاستمتاع الشخصي الذي كان آية نهضة الروح والبحث عن الحرية والإبداع. وربما وجد في كتاب عبد القاهر مزاجا من التذوق أو

---

(١٤٩) السابق صـ ٣١ .

(١٥٠) دلائل الإعجاز صـ ٢٩٢ .

(١٥١) اللغة والتفسير والتواصل صـ ٨٥ .

(١٥٢) السابق صـ ٩١ .

المعاناة الشخصية والصياغة العلمية. لقد أحس الشيخ الإمام الحاجة إلى إقامة توازن أكثر صلاحية بين المعرفة الدقيقة ونشاط النفس. والحقيقة أن النزاع بين التذوق والمعرفة قديم في تراث النقد العربي "[١٥٣]

ولعل صراع عبد القاهر مع معاصريه، وإشارة الآمدي إلى ضرورة التعليل خير مثال على هذا قديما ، أما حديثا - فلعل الصراع بين د / زكى نجيب محمود و د / مندور خير مثال على هذا أيضا؛ إذ يربط د/ زكى بينه وبين عبد القاهر في مناداته مثله بوجوب قيام " النقد الأدبي على أساس موضوعي. تعرف فيه العلل المعقولة لكل حكم تصدره "[١٥٤] واعتمد على ما وجده عند عبد القاهر من مثل قوله " لابد لكل كلام تستحسنه ولفظ تَسْتَجِيدُهُ من أن يكون لاستحسانك ذلك، جهة معلومة وعلة معقولة، وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذلك سبيل، وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل "[١٥٥].

غير أن د/ زكى قال " إن للأدب قراءتين، قراءة أولى نعجب فيها أو لا نعجب بالقطعة التي نطالعها، ثم قراءة ثانية نحلل فيها تلك القطعة لنقع على العناصر التفصيلية التي لعلها أن تكون مثار الإعجاب أو مدعاة للنفور؛ وما دمنا في هذه القراءة الثانية نحاول جمع الشواهد التي تعلل لنا ما قد أحسسنا به في القراءة الأولى، فنحن أقرب إلى النظرة العقلية العلمية بنا إلى التذوق، لأن كل تعليل هو رد للنتائج إلى عللها وبالتالي فهو عملية عقلية "[١٥٦].

أما عبد القاهر فهو على الرغم من رفعة لواء البحث عن علة إلا أنه مقتنع، بوجود مالا نستطيع التعبير عنه، ونادى **بضرورة البحث عن علة وقياس ما لم نعرف على ما عرفنا**[١٥٧] مشترطا في قارئ البلاغة كونه من أهل الذوق والمعرفة [١٥٨]، كما أن عبد

---

(١٥٣) السابق صـ ١١٧، ١١٩ .

(١٥٤) المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري د / زكى نجيب محمود دار الشروق ط٤ ١٩٨٤ م صـ ٢٥٨، ٢٥٩ .

(١٥٥) دلائل الإعجاز صـ ٤١ .

(١٥٦) المعقول واللامعقول صـ ٢٥٨ .

(١٥٧) انظر الدلائل صـ ٢٩٢ .

(١٥٨) انظر دلائل الإعجاز صـ ٢٩١ .

القاهر لم يفصل بين القراءتين مع إدراكه لضرورة تعدد القراءات فضلا عن المراجعة[١٥٩]؛ إذ يستحيل عنده أن نستحسن إلا وهناك جهة معلومة، كأني بالاستحسان عنده منبعث عن إدراك الجهة المعلومة فالذوق والمعرفة عنده متحدان فليست العلاقة بينهما علاقة نتيجة بعلة؛ فإدراك النتيجة عنده متوقف على الوعي بالعلة؛ أي أن التذوق متوقف على إدراك العلة، ولعل هذا هو ما جعل جابر عصفور يحاول الفصل بينهما على أساس الفرق بين الذوق الفطري والذوق المدرب، وقد غض جابر عصفور الطرف عن اتهام زكى نجيب محمود لمحمد مندور بأنه رفض فكرة زكى نجيب محمود الداعية إلى النقد الموضوعي غير أنه عاد وأخذ عنه فكرة القراءتين ونسبها إلى نفسه، وظني أن جابر عصفور في فصله بينهما على أساس أن الذوق الذي قال به زكى نجيب محمود هو ما سماه محمد مندور بالذوق الفطري، وأما الذوق الذي نادى به مندور فهو الذوق المدرب " لا شك أن مندور كان يلح إلحاحا واضحا على الذوق، ولكن بشرط أن يستند إلى مبادئ عامة نابعة من كثرة الممارسة وطول الدراسة، ولذلك مايز بين نوعين من الذوق: الذوق الفطري، وهو ذوق كامن في جذور العملية النقدية، والذوق المدرب ... الذي هو محور العملية النقدية في بحثها عن العلل التي تبرر التحليل أو التفسير أو الحكم. وإذا كان الذوق الفطري يعتمد على التأثيرية المحضة، وهى مرفوضة إذا اقتصر النقد عليها، فإن الذوق المدرب يعتمد على المعرفة الموضوعية ومحور المنهج كله يدور حول توازن هذين الذوقين "[١٦٠] غير أن التأمل في كلام مندور يقف بنا على فصله بين الذوق الشخصي والعقل والمعرفة وهو ما يجعله يلتقي مع زكى نجيب محمود يقول مندور/ عبد القاهر لم ينظر إلى هذه المركبات إلا من حيث الجودة فهو يرى في اجتماع تلك المعاني بعضها إلى بعض إعجازا من الشعراء، وهو لا يعنى بدراسة نحوها قدر عنايته بنقدها نقدا أدبيا، ومرد ذلك النقد وفيصله هو الذوق. الذوق الذي يحس ثم تأتى المعرفة فتعلل ما يمكن تعليله، ولقد يخطئ رغم استقامة الذوق ... إحساسه الأدبي سابق دائما لعقله ومعرفته"[١٦١] والحق أن إحساس عبد القاهر وذائقته ممزوج بإدراكه

---

(١٥٩) انظر الدلائل صـ ٥٥١، ٥٥٢ .

(١٦٠) قراءة النقد الدبى صـ ٢٨٣، ٢٨٤ .

(١٦١) في الميزان الجديد صـ ١٩٣ .

العقلي ويؤكد هذا قوله عن المزية التي تكون من "**من حيز المعاني دون الألفاظ، وأنها ليست لك حيث تسمع بأذنك، بل حيث تنظر بقلبك، وتستعين بفكرك، وتعمل رؤيتك، وتراجع عقلك**"(١٦٢) على أنى أرى أن مندوراً جانبه الصواب حينما نفى عن عبد القاهر عنايته بدراسة نحو المعاني التي اجتمع بعضها إلى بعض فقال "وهو لا يعنى بدراسة نحوها قدر عنايته بنقدها نقدا أدبيا، ومرد ذلك النقد وفيصله هو الذوق"(١٦٣) **ناسيا أو متناسيا دفاع عبد القاهر عن النحو وبناءه نظرية النظم على معاني النحو**، غير أنهما معا زكى نجيب محمود ومندور لم يفرقا بين قارئ وقارئ؛ فهناك قارئ له ذائقة بيانية فطرية يهتز ويستحسن وينفر ويستقبح غير أنه لم يصقل ذائقته بالمعارف التي من أجلها وضع عبد القاهر كتابه وأولها الشعر والنحو وهذا القارئ هو القارئ الذي دعاه إلى البحث والاستقصاء ... **فالجهة التي منها يقف والسبب الذي به يعرف استقراء كلام العرب وتتبع أشعارهم والنظر فيها** "(١٦٤) وهو نفسه القارئ الذي يخاطبه بقوله " فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ، إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه .... **واعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ..ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض**"(١٦٥) والمعنى أن عبد القاهر، دعا قارئه إلى صقل ذائقته بقراءة الشعر ،وتدبر كلام العرب بالإضافة إلى معاني النحو وأحكامه، فضلا عن التعرف على المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام بمعناها الشامل، الذي يشمل المقام والأحوال المتعلقة بكل من المتكلم والمتلقي والفكرة وما يمكن أن نطلق عليه الأنساق المعرفية والخلفية الثقافية للنص والعصر هذا إذا وعينا تطبيقات الدلائل، واتصفنا برحابة الأفق

---

(١٦٢) دلائل الإعجاز صـ ٦٤ .

(١٦٣) في الميزان الجديد صـ ١٩٣ .

(١٦٤) دلائل الإعجاز صـ ٤٠، ٤١ .

(١٦٥) السابق صـ ٨٢، ٨٣، ٨٧ .

أما القارئ الآخر فهو الذي اكتملت أداته التي بها يفهم، وصُقلت ذائقته التي بها يحس ويشعر؛ فهذا القارئ هو الذي إذا نبهته تنبه وإذا قدحته وري؛ أي أن القارئ الأول يحس ويشعر ويحتاج إلى كثير من المدارسة والممارسة كي يعلل ويزداد إدراكه وتذوقه بازدياد معارفه، وأما القارئ الثاني فإحساسه وتذوقه ممزوج بإدراكه معنى من معاني النحو، بقلبه وفكره وعقله وهي أمور تحدث كالبرق الخاطف، غير أن تعبيره وتعليله لما يحسه ويتذوقه يحتاج إلى مهارةٍ، وهبةٍ، ومتلقٍ إذا نبهته تنبه ونصوص المبحث الأول من المحور الثالث تؤكد هذا خاصة قوله ص ١٥١ "انظر إلى موقعها في نفسك وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها" أي أنه جمع بين الذوق والتعليل في لحظة واحدة."

المبحث الثالث: مظاهر تخبط القارئ ومعاناة عبد القاهر

أما التخبط المنهجي فعلامة أصحابه أنهم لا يأتون الأمر من بابه، ولا يسلكون إليه طريقه، ولا يطلبونه من معدنه [١٦٦]، ومنشؤه عدم الوعي بطبيعة العلم، ولا طبيعة ما قيل فيه تراثيا، ولا جهة الاستعصاء منه؛ إذ من المعروف منهجيا أن "الموضوع هو الذي يحدد نوعية المنهج، وهذا صحيح، ولكن يجب أن يضاف إلى ذلك أن المنهج، أي منهج، يؤثر بدوره في طبيعة الموضوع، بل يصنعها ويقدمها على صيغة أو صيغ دون أخرى فليست هناك طبيعة جاهزة خاصة بأي موضوع، بل هناك طبيعة أو طبائع تصنع، هي عبارة عن الفهم الذي نكونه لأنفسنا عن الموضوع"[١٦٧] ولقد قال د / مندور قبل ذلك مثله وهو يدعونا إلى منهج عبد القاهر الفقهي " إن منهجا لا ينتزع من موضوعه مستمدا مبادئه من ذلك الموضوع ذاته لا يمكن أن يستقيم "[١٦٨] ومن ثم قيل حديثا " إن تقدم المعرفة، في أي فرع

---

(١٦٦) انظر دلائل الإعجاز ص ٤٥٣ وإذا كان هذا صورَةُ الحال وجملةُ الأمر ثم لم ترَ القوم تفكَّروا في شيءٍ مما شرحناه بحالٍ ولا أخطروه لهم ببالٍ بانَ وظهر أنَهم لم يأتوا الأمرَ من بابه ولم يطلبوه من مَعْدِنه ولم يسلكوا إليه طريقَه ... الخ وانظر ص ١٦٣، وانظر ما قاله عن الكندي ص ٣١٥، ٣١٩، وانظر للذوق ص ٥٤٩

(١٦٧) الحداثة والتراث الجابرى صـ ٤٢ نشير إلى بعض الصفحات التي نبه فيها عبد القاهر إلى ضرورة مراعاة الغرض في الفهم ص ٢٦٢، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٥٤

(١٦٨) في الميزان الجديد صـ ١٨٥ .

من فروعها، يرتبط بالدرجة التي ترتد بها هذه المعرفة إلى ذاتها، وقدرتها على أن تجتلي نفسها في مرآة منهجها التي هي إياها، والتي تساعد على تأسيس وإعادة تأسيس علاقاتها الذاتية والغيرية"[١٦٩] ويؤكد هذا تراثيا حرص عبد القاهر على بيان عكوفه على التراث قبله وتوصيف ما قيل فيه بما يبرز أن أساس الخلل في البلاغة على عصره يرجع إلى المنهج؛ إذ سُوء اعتقاد طائفة من المشتغلين بالبلاغة فيها والتصور الخاطئ لها أدى بهم إلى التخبط المنهجي الذي مظهره الأساسي عدم العلم بأن "**هنا دقائق وأسرارا طريق العلم بها الرويَّة والفكر، ولطائف مستقاها العقل، وخصائص معان ينفرد بها قوم قد هدوا إليها. ثم عَنَّ لهذه الطائفة بسوء الاتفاق رأى صار حجازا بينها وبين العلم بها، وسدا دون أن تصل إليها وهو أن ساء اعتقادها في الشعر الذي هو معدنها وعليه المعول فيها، وفي علم الإعراب الذي الذي ينميها إلى أصولها**"[١٧٠]

والمعنى أن مبعث التخبط المنهجي، أنهم تصوروا طبيعة العلم تصورا خاطئا، واستبعدوا أهم ما يعين على الضبط المنهجي، متمثلا ذلك في الشعر والنحو، ومن ثم نؤكد قول الحداثيين "إننا لا يمكن أن نمضى في مناقشة لغة الموضوع، ونتقدم في أفقها المعرفي، لنؤسس إشارتها إلى موضوعها على مستوى التطبيق وعلى مستوى التنظير إلا إذا أسسنا لغة شارحة تتولى الضبط المنهجي لحركة النقد الأدبي وممارساته، وذلك بكيفية ينعكس بها النقد على نفسه ويشير إلى ذاته على سبيل الوصف أو التحليل"[١٧١] وهو عين ما فعله عبد القاهر في الدلائل ومن ثم كانت البداية ممثلة في الدفاع عن الشعر والنحو ثم وصف وتحليل ما قاله العلماء في الفصاحة والبيان والبراعة .... الخ.

أما التخبط المعرفي؛ فيتجلى في عدم دلالة ما قيل على علم القائل، وبرهان ذلك، أن قول المتخبط معرفيا لا يشفى من شاك غليلا، وهو ما عبر عنه عبد القاهر في مناقشاته لتساؤلات الكندي، وآراء غيره فكان مثل قوله "**لو أن الكندي استقرى وتصفح وتتبع مواقع**

---

(١٦٩) نظريات معاصرة صـ ٢٧٤ .

(١٧٠) دلائل الإعجاز صـ ٧، ٨

(١٧١) نظريات معاصرة صـ ٢٧٤، ٢٧٥

إن"[١٧٢] وكذلك قال وقد بلغ من قلة نظرهم أن قوما منهم لما رأوا الكتب المصنفة في اللغة قد شاع فيها أن توصف الألفاظ المفردة بالفصاحة ،ورأوا أن أبا العباس ثعلبا قد سمى كتابه الفصيح ..سبق إلى قلوبهم أن حكم الوصف بالفصاحة لا يكون له مرجع إلى المعنى "[١٧٣] كذلك قال ومن شدة غفلتهم قول العلماء حيث ذكروا (الأخذ) و(السرقة) :إن من أخذ معنى عاريا، فكساه لفظا من عنده كان أحق به وهو كلام مشهور متداول يقرأه الصبيان[١٧٤] والأمثلة على ذلك كثيرة ويؤكدها اعتماده على التأويل البلاغي في فهم وإفهام كلام القدماء .

أما التخبط الأسلوبي فيدل عليه أن القارئ لا يجد سبيلا في أسلوبهم يفضي به إلى معرفة ما قصدوا إليه وسبب ذلك كله أنه "**إذا تعاطى الشيءَ غيرُ أهله، وتولى الأمرَ غيرُ البصير به، أعضل الداء واشتد البلاء**"[١٧٥] **غير أن الآفة تعظم، والمصيبة تشتد، إذا كان الرأي الفاسد صدر عن قوم لهم نباهة وصيت وعلو منزلة، وترك الناس عامة النظر فيه، واعتمدوا التقليد له دينا، أما أهل ذلك العلم وخاصَّتُه والممارسون له والذين هم خُلَقاءُ أن يعرفوا وجه الغلط والخطأ فيه - لو أنهم نظروا فيه - كالأجانب الذين ليسوا من أهله، في قبوله والعمل به والركون إليه، وجدتهم قد أعطوْه مقادتهم**[١٧٦]. يشير إلى الذين تكلموا في البلاغة بالكلام الإجمالي كالقاضي عبد الجبار، ولا يزال بيننا من يرى أنه صاحب نظرية النظم، مع مناقشة عبد القاهر له بما يؤكد أن وعي عبد الجبار بها كان وعيا إجماليا لا غناء فيه*

فلئن عانى عبد القاهر في تفكيره البلاغي من لغة الأسلاف المؤسسة على المجاز والإيجاز، والرمز والإيماء في خفاء؛ فإنه عانى كذلك من أولئك الذين اتسم تفكيرهم

---

(١٧٢) دلائل الإعجاز صـ ٣١٥، ٣١٩

(١٧٣) السابق صـ ٤٥٨

(١٧٤) السابق صـ ٤٨٣

(١٧٥) دلائل الإعجاز صـ ٤٨٢

(١٧٦) دلائل الإعجاز صـ ٤٦٤، ٤٦٥

* تناولنا هذا في بحث آخر بعنوان الإدراك البلاغي لنسق الكلام وأبرزنا أن تطبيقاته في كتابه تنزيه القرآن تؤكد هذا

البلاغي بالخلط المنهجي، والمعرفي، والأسلوبي وهم في الوقت نفسه ممن لهم نباهة، وصيت، وعلو منزلة في الناس حالت بينهم وبين مراجعة ما قاله هؤلاء، أما معاناته الكبرى فكانت مع أهل ذلك العلم وخاصّته الذين تركوا النظر واعتمدوا التقليد منهجا وطريقا، ومن ثم كانت حملتُه على التقليد، وقراءتُه لتراث الأسلاف، ومناقشته لأولئك الذين لهم نباهة وصيت وعلو منزلة، وذلك في لغة سجالية تعكس طبيعة المعاناة المركبة التي يعانيها على مستويات متعددة؛ فحثّ على ترك التقليد، وعدم الاغترار بمنزلة العالم، مؤكدا حق العقل المتمثل في ضرورة النظر والمراجعة لآراء أهل العلم مهما كانت نباهتهم وصيتهم وعلو منزلتهم وهو ما يفسر لنا حرصه على الربط بين العلم وإنسانية الإنسان تارة [١٧٧]، **وبين التقليد وإيثار الجهل على العلم تارة أخرى**[١٧٨]، **ثم ربطه بين سموّ النفس ونبل العقل والتوق إلى أن تُقرَّ الأمور قرارها، وتوضع الأشياء مواضعها، والنزاع إلى بيان ما يشكل وحلّ ما ينعقد، والكشف عما يخفى**[١٧٩]... وغير ذلك مما **هو أشبه بالفتى في عقله ودينه، وأزيد له في علمه ويقينه**[١٨٠]، وإلا فإنه سوف يكون عالما في ظاهر مقلد، يكتفي من العلم بالأقوال المجملة المرسلة، وهو مالا نرتضيه للمشتغلين بعلم البلاغة غيرةً على خصوصية هذا العلم وأنفةً من أن يكون هذا سمتُ أهله ومن ثم حرص الإمام على بثّ معاناته في سبيل غربلة ما كتب في الفكر البلاغي وهو يقدم قراءته النقدية الواعية لهذا التراث مبرزا طبيعته القائمة على الرمز والإيماء والإشارة في خفاء[١٨١] مع عظيم التقدير والإجلال لهم بالحرص على التواصل المعرفي والبناء على ما أسسوه اعتقادا منه أنهم **لئن أقصروا اللفظ لقد أطالوا المعنى**،"[١٨٢] ومن ثم يجب على العالم النِّحرير أن يلتمس العذر لهم في ذلك الإيجاز إذ "**لم تضق العبارة، ولم ينغلق الكلام في هذا**

---

(١٧٧) دلائل الإعجاز صـ ٤

(١٧٨) دلائل الإعجاز صـ ١٠.

(١٧٩) دلائل الإعجاز صـ ٣٤ .

(١٨٠) دلائل الإعجاز صـ ٤٠

(١٨١) دلائل الإعجاز صـ ٣٤ .

(١٨٢) دلائل الإعجاز صـ ٣٥ .

الباب إلا لأنه قد تناهى في الغموض والخفاء إلى أقصى الغايات، وأنك لا ترى أغرب مذهبا، وأعجب طريقا، وأحرى بأن تضطرب فيه الآراء منه"(١٨٣)*. على أنه لم يلتمس عذرا لأولئك الذين اكتفوا في البلاغة بالأقوال المجملة المرسلة متجاهلين طبيعة العلم وما يجب أن يتحلّى به أهله من قلق معرفي ومنهجي يعتمد في أساسه على **استقراء كلام العرب وتتبع أشعارهم والنظر فيها**(١٨٤) وبخاصة أولئك الذين لهم نباهة وصيت وعلو منزلة حالت بين الناس وبين تدبر كلامهم .ومناقشته، ولعل السبب في حدته مع هؤلاء يرجع إلى **صلة البلاغة بالتفسير والتأويل**(١٨٥) باعتبارها العلم المؤهل لحسم كثير من الفساد وإصلاح كثير من الخلل فيما يتعلق بالتفسير والتأويل، والمعنى أن علم البلاغة بجناحيه "**باب من أبواب العلم إذا فتحته اطلعت منه على فوائد جليلة، ومعان شريفة، ورأيت له أثرا في الدين عظيما وفائدة جسيمة، ووجدته سببا إلى حسم كثير من الفساد فيما يعود إلى التنزيل وإصلاح أنواع من الخلل فيما يتعلق بالتأويل ويربأ بك. عن أن تكون عالما في ظاهر مقلد**(١٨٦)

وأما حملته على الأقوال المجملة المرسلة في التأليف البلاغي فيرجع إلى أنها فتحت الباب على مصراعيه أمام "**طبقات من الناس يتداولون فيما بينهم ألفاظا للقدماء وعبارات، من غير أن يعرفوا لها معنى أصلا، أو يستطيعوا إن يُسألوا عنها أن يذكروا لها تفسيرا يصح.**"(١٨٧)

وقد ربط عبد القاهر بين الأسباب التي أدت بالفكر البلاغي إلى الجمود المنهجي والمعرفي والأسلوبي فيما يشبه المقدمة والنتيجة؛ فغموض ما قيل في البلاغة قديما بسبب الاعتماد على الرمز والوحي والكناية والتعريض في التعبير عن قضاياها أدى بالعلماء من غير أهلها

---

(١٨٣) دلائل الإعجاز صـ ٢٧١

* أشرنا سابقا إلى لغة المجاز والإيجاز في التراث النقدي والبلاغي، وأكدنا أن آليات قراءته مثل آليات قراءة النصوص الأدبية

(١٨٤) دلائل الإعجاز صـ ٤١ .

(١٨٥) دلائل الإعجاز صـ ٣٠، ٣٢

(١٨٦) السابق صـ ٤١

(١٨٧) دلائل الإعجاز صـ ٤٥٦ .

ممن لهم شأن في غيرها إلى الأقوال المجملة والمرسلة، وقد حالت منزلتهم الرفيعة فيما برزوا فيه بين الناس وبين مراجعة ما قالوه في البلاغة وهو ما دفع الناس عامة وكثيرا من أهل البلاغة خاصة إلى التقليد يقول عبد القاهر "**إنك إذا قرأت ما قاله العلماء فيه (علم الفصاحة)، وجدت جله أو كله رمزا ووحيا وكناية وتعريضا حتى كأن بسلا حراما أن تتجلى معانيهم سافرة الأوجه لا نقاب لها**"(١٨٨)* وهذا في علم الفصاحة بالضد مما هو معروف في أنواع العلوم الأخرى وقد اتسم الفكر البلاغي بتأثير ذلك بسمتين سلبيتين كانتا لهما أبعد الأثر فيه

أما السمة السلبية الأولى فقد أشار إليها إبان شكواه مما قاله العلماء على أساس من الرمز والإيماء في معنى الفصاحة والبلاغة؛ إذ رفض القول المجمل في تفسير الفصاحة فقال "**ولو كان قول القائل لك في تفسير الفصاحة: ((إنها خصوصية في نظم الكلم وضم بعضها إلى بعض على طريق مخصوصة، أو على وجه من الفائدة)) أو ما أشبه ذلك من القول المجمل، كافيا في معرفتها، ومغنيا في العلم بها، لكفي مثله في معرفة الصناعات كلها وذلك ما لا يقوله عاقل. وإذا كان هذا هكذا، علمت أنه لا يكفي في علم الفصاحة أن تنصب لها قياسا ما، وأن تصفها وصفا مجملا، بل لا تكون من معرفتها في شيء، حتى تفصل القول وتحصل، وتضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم وتعدها واحدة واحدة، وتسميها شيئا شيئا**(١٨٩)، ولعل هذا هو ما أغرى ناقدا كبيرا مثل د مندور إلى القول:- "ونظريته كما

---

(١٨٨) دلائل الإعجاز صـ ٤٥٥ .

* يلاحظ أن هذا التوصيف لطبيعة ما قاله القدماء في البلاغة هو الذي هداه إلى قراءته بنفس طريقة قراءة الشعر والأدب ،غير أن دلالة هذا التوصيف عنده متعددة؛ فهي تعين على تحديد كيفية قراءته، وتعلل لشيوع الأقوال المجملة، وانتشار التقليد، وغلبة الجمود، وتدعو إلى التجديد، وهو ما قام به عبد القاهر في عصره، على أنه اهتدى بهدي سلفه، وهو ما ينقص المجددين في عصرنا؛ إذ يرون الهدم ضرورة للبناء وهذا سبب رئيس من أسباب الصراع بين الحداثيين والتراثيين؛ فالحداثيون أفرطوا في تقليد المذاهب المعاصرة، وفرطوا في التراث، ودعوا إلى مقاطعته، أما التراثيون ففرطوا على مستويين؛ أولا لم يحسنوا في الغالب تقديم تراثهم، ثانيا لم يحسنوا الإفادة من منجزات غيرهم، وأملنا في القارئ الذي يجمع بينهما

(١٨٩) دلائل الإعجاز صـ ٣٦، ٣٧ .

قلت ليس لها من القيمة ما لتطبيقاته، فهنالك يظهر ذوقه العربي السليم، ذلك الذوق الذي لا يمكن أن يغني عنه في الأدب شيء "[١٩٠] وهو ما تصيده جابر عصفور مدعيا أن القراءة الإسقاطية لمحمد مندور وغيره " رفعت من شأن الذوق لتهبط بالنظر، وأعلت من الطبع على حساب الصنعة، وقرنت النقد بالفن لترقى به على العلم، وتسامت بالنقد التطبيقي على حساب النقد النظري"[١٩١].

والحقيقة أن عبد القاهر جمع في نقده بين التنظير والتطبيق؛ إذ لم يكن من أنصار الكلام المجمل بل كان من أنصار استقراء كلام العرب وتتبع الظاهرة ثم استخلاص الضابط العلمي .

أما السمة السلبية الثانية الناشئة عن رمزية التأليف البلاغي قبله فقد أشار إليها وهو يشير إلى بناء هذا التأليف على الرمز والإيماء بديئا وأخيرا فأكد " أننا لم نر العقلاء قد رضوا من أنفسهم في شيء من العلوم أن يحفظوا كلاما للأولين ويتدارسوه، ويكلم بعضهم به بعضا ،من غير أن يعرفوا له معنى، ويقفوا منه على غرض صحيح، ويكون عندهم، إن يسألوا عنه، بيان وتفسير إلا ((علم الفصاحة)).[١٩٢]

يلاحظ الربط بين الغموض وبين القول المجمل، والربط بين الغموض والتقليد غير أنه يلاحظ أيضا أن التقليد نوعان تقليد للأسلاف وهو مرفوض لغموضه وتقليد لمن فسروا ما قاله الأسلاف بأقوال مجملة مرسلة لا تفصيل فيها ولا تحصيل منها وهذا أيضا مرفوض لعمومه وإجماله .

المبحث الرابع: التراث البلاغي بين الرفض والقبول

نستطيع من ثم أن نقول، إن رفض عبد القاهر للتقليد، على كل المستويات، جعله يؤسس تصوره لسمات القارئ المثالي للبلاغة على أساس من الأنفة من التقليد والرغبة الشديدة في التغلغل في كل سبيل يجد فيه مزيَّة علم، وفضل استبانة، على أن رفض التقليد لا يعني رفض

---

(١٩٠) في الميزان الجديد صـ ١٩٣ .

(١٩١) قراءة التراث النقدى صـ ٢٨ .

(١٩٢) دلائل الإعجاز صـ ٤٥٥، ٤٥٦ .

السير على أضواء العلماء السابقين، بل يجب على هذا القارئ المثالي أن يُمْري إشاراتهم ويربِّيها مثلما فعل الإمام عبد القاهر مع ((النظم)) الذي أطبق العلماء على تعظيم شأنه، ومثلما فعل مع مقولاتهم التراثية، وهو ما يؤكد حرصه على التواصل المعرفي؛ ومن ثم كان قوله عن النظم "**وما كان بهذا المْحّل من الشرف، وفي هذه المنزلة من الفضل، كان حرىً بأن توقظ له الهمم، وتوكل به النفوس، وتحرك له الأفكار، وتستخدم فيه الخواطر، وكان العاقل جديرا أن لا يرضى من نفسه بأن يجد فيه سبيلا إلى مزية علم، وفضل استبانة، وتلخيص حجة، وتحرير دليل، ثم يعرض عن ذلك صفحا، ويطوي دونه كشحا، وأن يربأ بنفسه، وتدخل عليه الأنفة من أن يكون في سبيل المقلد الذي لا يبت حكما، ولا يقتل الشيء علما، ويباين من هو بهذه الصفة، فإن ذلك دليل ضعف الرأي وقصر الهمة ممن يختاره ويعمل عليه**"(١٩٣)

والمعنى أن عبد القاهر لم يربط بين، رفض التقليد ورفض التراث، بحجة التجديد، أو السيطرة على التراث بدل أن يسيطر علينا – بل جعل تعظيم علماء السلف للنظم إشارة لذوي الهمم العالية، والعقول الراجحة المفعمة بضرورة رفض التقليد كي يحركوا أفكارهم ويستخدموا خواطرهم وعقولهم في تربية وتنمية إشارات أهل العلم بحيث تجمع بين الحسنيين؛ شرعية الانتساب إلى العقل الجماعي للأمة، ومشروعية مراجعة تراث العقل الجماعي لهذه الأمة، ورائده في ذلك قولهم: "**واعلم أنه ليس إذا لم تمكن معرفةُ الكل.، وجب ترك النظر في الكل .الخ** (١٩٤)

لاشك في أنها المراجعة والغربلة التي لا يمنع منها ما قام به الأوائل وما استخرجوه من نفائس ؛فالعلم يربو بالمراجعة ويصفو بغربلة أولئك الذين يحسنون استنباطه، ويحرصون على قتل الشيء علما (١٩٥) مثلما يحرصون على أن ينظروا نظر " **المُتَثَبِّت، ومَن شأنه التوق إلى أن يعرف الأشياء على حقائقها، ويتغلغل إلى دقائقها، ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يجرى مع الظاهر**"(١٩٦)

---

(١٩٣) دلائل الإعجاز صـ ٨٠، ٨١

(١٩٤) دلائل الإعجاز صـ ٢٩٢ .

(١٩٥) دلائل الإعجاز صـ ٨١ .

(١٩٦) دلائل الإعجاز صـ ١٧١ .

إن عبد القاهر ومن في طبقته ممن عكفوا على رموز وإشارات العلماء قبلهم وكشفوا عما أشاروا إليه بثاقب فكرهم آمنوا "**بأنه ليس في جملة الخفايا والمشكلات أغرب مذهبا في الغموض، من هذه التي نحن بصددها ، وأن الذي قاله العلماء والبلغاء في صفتها والإخبار عنها، رموزٌ لا يفهمها إلا من هو في مثل حالهم من لطف الطبع، ومن هو مُهَيَّأ لفهم تلك الإشارات، ولا يعرفها من ليس منهم**"(١٩٧)*

ما كان لعبد القاهر، أن يرمي أسلافه بالغموض، والتعقيد، والجهل بالمنهجية العلمية في التفكير؛ فهم وهو أجلّ من أن يفعل هذه الصغائر؛ لأن القلق المعرفي، والقلق المنهجي عنده جناحا المعرفة الحقيقية، وبرهان الرسوخ في تربة أهل العلم

لقد استطاع عبد القاهر بهذا، أن يلفتنا إلى ضرورة، أن يعي القارئ للبلاغة، طبيعتها الخاصة، وطبيعة ما قيل فيها تراثيا، فضلا عما يكتنفها، ويستبطنها، مما يستعصي على غير أهلها ،إلى جانب استبصاراته المنهجية، وهو ما يجعل قارئ البلاغة، يقوم بعملية ذهنية مركبة، ناشئة عن المزج بين الأعمال الأدبية الإبداعية ،والأعمال البلاغية العلمية؛ فكان متأملا، مستقرئا، مستقصيا للشعر من جهة، ومتأملا، مفكرا فيما قاله العلماء عن البلاغة والفصاحة من جهة أخرى ومن ثم قال: - "**واعلم أنك لا تشفي العلة ولا تنتهي إلى ثَلَجَ اليقين، حتى تتجاوز حد العلم بالشيء مُجْمَلاً، إلى العلم به مفصَّلاً، وحتى لا يُقنعك إلا النظر في زواياه، والتغلغل في مكامنه، وحتى تكون كمن تتبع الماء حتى عرف منْبعَه وانتهى في البحث عن جوهر العُود الذي يصنع فيه، إلى أن يعرف مَنْبِته ومجْرى عروق الشجر الذي هو منه**"(١٩٨)

لا أملك أمام هذا النص الذي يجب أن يهتدي قارئ البلاغة بهديه ويسير في ضوئه، مع الاعتذار للدكتور جابر عصفور الذي يرى أنه " من الحق أن القارئ المعاصر - في حدث القراءة - لا ينظر إلى الماضي ليهتدي بهديه ويسير بضوئه "(١٩٩) أقول لا أملك أمام نص

---

(١٩٧) دلائل الإعجاز صـ ٢٥٠ .

* أرجو أن، نلاحظ إشارته هنا إلى ضرورة الجمع في قراءة كلام القدماء بين آليات التحليل البلاغي بحجة رمزيته ،والذائقة البيانية . بحجة تعويل القدماء على لطف طباع من يخاطبونه اعتقادا منهم أنه يجب أن يكون على شاكلتهم وإلا فالسكوت عنه أفضل للبلاغة وأهلها .

(١٩٨) السابق ص ٢٦٠

(١٩٩) قراءة التراث النقدي صـ ٦٥ .

عبد القاهر إلا أن أضع بجواره هذا النص الحداثي لعلنا ندور معه حيث يدور "إن كل خطاب نقدي ينطوي على تأمل ضمني لذاته ... وذلك قول ينقل الحضور الذاتي للناقد من مستوى الضرورة، في علاقته باللغة التي يقدمها إليه عصره إلى مستوى الحرية الذي يصوغ به الناقد خطابه الخاص، **واعيا كل الوعي بوعيه في صياغة هذا الخطاب، منتبها كل الانتباه إلى العلائق الذاتية والموضوعية لهذا الوعي، من حيث هو وعى بالموضوع، ووعى بالذات التي تعي الموضوع، ووعي بكيفية الوعي في صلته بكل الأطراف**"(٢٠٠).

على أن د/ جابر احتفى بنص عبد القاهر السابق الذكر في كتابه قراءة التراث النقدي لدرجة تصدير الكتاب به(٢٠١) فضلا عن دعوته لنا إلى " التذكر الفطن لمغزى ما يقوله شيخنا عبد القاهر " واعلم أنك لا تشفى الغلة .... الخ " هكذا بالغين وليس بالعين المهملة معلنا أنه " قد آن الأوان لأن ننتقل من المباهاة المؤسية بعبد القاهر في حضرة (دي سوسير)إلى الفهم الموضوعي العميق، والتاريخي، لنصوصه ونصوص دي سوسير، فى علاقاتها المتباينة، وأنساقها المغايرة، بوعي نقدي لا يتضاد عاطفيا بل يتماسك إجرائيا، ويتأسس منهجيا، في سعيه لإنتاج معرفة جديدة (لا أيديولوجيا جديدة) بالتراث .قد تكون أدوات إنتاج معرفتنا الجديدة بالتراث ليست من صنعنا تماما الخ "(٢٠٢) والفرق الجوهري بين عبد القاهر، ونهضته المنهجية في عصره، وبين الحداثيين المعاصرين؛ أنهم يعترفون صراحة بأن أدوات إنتاج معرفتهم بالتراث ليست من صنعهم. أما عبد القاهر " فإن نظرية النظم كما شيدها عبد القاهر... إنما هي امتداد وتتويج لمناقشات البلاغيين والمتكلمين لمسألة شغلت الفكر البياني عبر العصور: مسألة العلاقة بين اللفظ والمعنى .. إن نظرية النظم كما قررها عبد القاهر قد فكر فيها داخل الحقل المعرفي البياني، موظفا معطيات هذا الحقل، مستجيبا لاهتماماته، معبرا عن مرحلة من مراحل نموه، نمو الوعي

---

(٢٠٠) نظريات معاصرة / جابر عصفور صـ ٢٨٥ التأكيد من عندي وذلك لتنبيه القارئ إلى كلمة الوعي ليلاحظ عددها وصياغة الأسلوب الذي وردت فيه

(٢٠١) قراءة التراث النقدى صـ ٣ .

(٢٠٢) قراءة التراث النقدى صـ ٩٠

بالذات"[٢٠٣] ويؤكد هذا رفضه للأقوال المجملة مبينا خطورتها على قارئ البلاغة، فضلا عن رفضه للتقليد بحسم شديد. ومن ثم كان الاتساق المعرفي والمنهجي والأسلوبي بين نظريته في النظم والتراث البلاغي قبله.

وبناءً على ما سبق لم يكن عبد القاهر من ذوي الأقوال النظرية فقط، وهو ما غلب على الذين جمعوا في تفكيرهم البلاغي بين التراث العربي في نقائه وخصائصه، والمنطق اليوناني، بل نراه وقد جمع إلى قلقه المنهجي النظري، قلقه المنهجي التطبيقي، مشيرا إلى ما تشتمل عليه البلاغة من فروق خفية تجهلها العامة، وكثير من الخاصة، مؤكدا أن الاستقراء والتتبع لكلام العرب وإلطاف النظر هو المنهج السديد في إدراك هذه الخفايا وما بينها من فروق [٢٠٤]* ومن ثم نقول لا شك في أن تتبّع المسألة العلمية حتى يُعْرَف منبعُها من أمارات القلق المعرفي باعتباره السرَّ الدفينَ في كل بعث علمي ينهض به أهل العلم، ولاشك كذلك في أن القلق المنهجي يعتبر السرَّ الدفين في كل ضبط علمي للقضايا الملبسة، وهو ما أكد عليه مرارا إبَّان معالجته لبلاغة (إن)، و(إنما) وغيرهما في الكلام ،إذ أشار كثيرا إلى الاستقراء والتحليل بحثا عن أسرار الكلام ومن ذلك قوله:- "**واعلم أن ههنا دقائق لو أن الكندي استقرى وتصفح وتتبع مواقع (إن)، ثم ألطف النظر وأكثر التدبّر، لعلم علم ضرورة أن ليس سواءً دخولها وأن لا تدخل**"[٢٠٥].

والمعنى أن عبد القاهر كان حريصا على الربط بين الجانب النظري والتطبيقي في ترسيخه لمبدأ القلق المنهجي في الباحث البلاغي الجاد؛ فكما قال "**إن الجهة التي منها يقف، والسبب الذي به يعرفُ، استقراءُ كلام العرب وتتبع أشعارهم والنظرُ فيه**"[٢٠٦] وجدناه كذلك وقد قال بعدما تتبع مواقع (إن) "**فلو أن الفيلسوف قد كان تتبع**

---

(٢٠٣) بنية العقل العربى دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية د / محمد عابد الجابري – المركز الثقافي العربي بيروت – الدار البيضاء ط ٣ ١٩٩٣ م صـ ٨١ .

(٢٠٤) دلائل اللإعجاز صـ ٣١٥ .

* لسنا ضد الإفادة من العطاء الإنساني في كل تجلياته بشرط أن نراعي خصوصية حضارتنا وهويتنا فلا نستبدل بهما غيرهما

(٢٠٥) دلائل الإعجاز صـ ٣١٥ .

(٢٠٦) دلائل الإعجاز صـ ٤١ .

هذه المواضع لما ظن الذي ظن "[٢٠٧] وقال أيضا (ثم إنا إذا استقرينا الكلام وجدنا الأمر بينا في الكثير من مواقعها، أنه يُقْصَد بها إلى الجواب "[٢٠٨]

أما (إنما) فقد أكد على ضرورة مناقشة مواقعها وبلاغتها بمراعاة كثير من الكلام الذي وردت فيه؛ وبخاصة إذا كنا بصدد تقرير أصل من أصول معانيها أو مناقشة أصل من أصول هذه المعاني يقول :- **إن قيل :قد مضيت في كلامك كله على أن (إنما) للخبر لا يجهله المخاطب، ولا يكون ذكرُك له لأنْ تفيده إياه، وإنّا لنراها في كثير من الكلام، والقصد بالخبر بعدها أن تعلم السامع أمرا قد غلط فيه بالحقيقة، واحتاج إلى معرفته، كمثل ما ذكرت في أول الفصل من قولك: - (إنما جاءني زيد لا عمرو)، وتراها تدور في الكتب للكشف عن معانٍ غير معلومة، ودِلالةِ المتعلِّم منها على ما لا يعلم"[٢٠٩]**

على أنه يؤكد على القلق المعرفي والمنهجي معا بتأكيده على الاستقراء فيقول:- "**ثم اعلم أنك إذا استقريت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب، إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه ...الخ"[٢١٠]**

إن عبد القاهر يدلنا على القارئ المبتغى في البلاغة، بل في كل علم وذلك؛ بتمثله حركة ذهن قارئه مفترضا اعتراضاته ومناقشاته ولنتأمل فيما سبق حثه وتحفيزه للقارئ كي يتابع ويناقش.

وهكذا يتضح أن عبد القاهر يشير بهذا وغيره إلى ما يجب أن يتحلى به القارئ المثالي، من قلق معرفي أصيل، مؤسس على قلق منهجي مكين؛ فاعتمد في القلق المعرفي على تضارب القاعدة المقررة مع كلام العرب كما اعتمد في القلق المنهجي على استقراء كلام العرب، والمعنى أن هذا القارئ هو الذي تثمر محاورته للمسائل العلمية؛ إذ لا يقبل ما

---

(٢٠٧) دلائل الإعجاز صـ ٣١٩ .

(٢٠٨) دلائل الإعجاز صـ ٣٢٤ .

(٢٠٩) دلائل الإعجاز صـ ٣٥١ .

(٢١٠) دلائل الإعجاز صـ ٣٥٤ .

يقرره غيره دونما تتبع لمظاهره في الكلام؛ بل يجب أن يتأمل كلام العلماء بيقظة تكشف عما فيه من تضارب، مثلما يتأمل كلام العرب في ضوء ما قرره العلماء؛ فإذا استقام ما قرروه مع كلام العرب أقر به، وإلا فواجبه أن يناقش فيقبل أو يرفض في ضوء ما تكشف عنه المناقشة المنهجية السديدة التي عمادها الاستقراء والاستقصاء والتتبع مثلما فعل مع الكندي الفيلسوف إبان مناقشة ما ادعاه من أنه يجد في لغة العرب حشوا؛ إذ اعتمد على **الاستقراء والاستقصاء في تتبع الظاهرة المدروسة يقول في ذلك :- "واعلم أن ههنا دقائق لو أن الكندي استقرى وتصفح وتتبع مواقع ((إن))، ثم ألطف النظر وأكثر التدبر، لعلم علم ضرورة أن ليس سواءً دخولها وأن لا تدخل".**(٢١١)

لا شك في أن عبد القاهر كان شديد الامتعاض ممن لا يفكرون ولا يتدبرون المسائل العلمية، سواء أولئك الذين يقرءون كلام السابقين دون تدبر، أو أولئك الذين يقرءون كلام المعاصرين دون تبصر، ولذلك اشتدت حملته على من ترك النظر واعتمد التقليد يقول: - **" تلك جريرة ترك النظر وأخذ الشيء من غير معدنه "**(٢١٢) **ويقول " ترى الناس كأنه قد قُضِيَ عليهم أن يكونوا في هذا الذي نحن بصدده، على التقليد البحت، وعلى التوهم والتخيل، وإطلاق اللفظ من غير معرفة بالمعنى، وقد صار ذاك الدَّأْبُ والدَّيْدَنُ، واستحكم الداء منه الاستحكام الشديد** (٢١٣)"

لقد استطاع عبد القاهر أن يجمع في ثنائية متآلفة أشد ما يكون التآلف بين إثرائه لتراث السلف وإزرائه على المقلدين للأولين بحفظ كلامهم من غير أن يعرفوا له معنى، أو للمعاصرين الذين يكتفون في العلم بالكلام المجمل الذي لا طائل منه.

المبحث الخامس: صورة القارئ المثالي في الفكر البلاغي بين النظرية والتطبيق

يحسن بنا أن نؤكد أن عبد القاهر لم يَدْعُ العلماءَ إلى منهج إلا وأيَّدَهُ بالدليل التطبيقي؛ فالبلاغة النظرية عنده أساس راسخ أقام عليه معمار البلاغة التطبيقية؛ فها هو ذا يُصَرِّح

(٢١١) دلائل الإعجاز صـ ٣١٥

(٢١٢) دلائل الإعجاز صـ ٣٦١ .

(٢١٣) دلائل الإعجاز صـ ٣٦٥ .

باتباعه لبعض العلماء في بعض ما قالوه، ثم اتضح له بعد تدبُّرٍ أن الأمر على خلاف ما قدّر هؤلاء يقول: - "**إنك ترى من العلماء من قد تأوَّل في الشيء تأويلا وقضى فيه بأمر، فتعتقده اتباعا له، ثم يلوح لك ما تعلم به أن الأمر على خلاف ما قدَّر**"(٢١٤) ومن ثم كان تحريضه على استمرار المراجعة والمناقشة لأهل العلم، بل للنفس فيما قرّرت يقول:- "**ليس في أصناف العلوم الخفية، والأمور الغامضة الدقيقة، أعجب طريقا في الخفاء من هذا ...وإنك لتنظر في البيت دهرا طويلا وتُفسِّرُهُ، ولا ترى أن فيه شيئا لم تعلمه، ثم يبدو لك فيه أمرٌ خَفِيٌّ لم تكن قد علمته ،مثال ذلك بيت المتنبي**

عجباً له !! حَفِظَ العِنانَ بِأنمِلٍ ما حِفْظُها الأشياءَ مِنْ عَادَاتِهَ

مضى الدهر ونحن نقرؤه فلا ننكر منه شيئا،ولا يقع لنا أن فيه خطأ ،ثم بان بأَخَرَةٍ أنه قد أخطأ"(٢١٥)

ولا أطيل بذكر ما كان من أمر كاد مع ذي الرمة وابن شبرمة فيما رواه ابن عنبسة، ولا أطيل كذلك بذكر ما كان بين خلف الأحمر، وبشار من أمر إن في شعره وغير ذلك مما تناوله بالتفصيل. .والمعنى أن عبد القاهر يؤكد بهذا على ضرورة المراجعة الدائمة لآراء العلماء السابقين فضلا عن ضرورة مراجعة العالم لآرائه؛ ولا شك أن هذا يرسخ لما يجب أن يتصف به العالم الأمين مع علمه ونفسه من قلق معرفي وقلق منهجي باعتبارهما رحيق الرُّقيِّ العقلي، والتقدم المعرفي، على أنه باعد النفس من الإنسانية إذا عدَّ صاحبُها الرجوعَ عن باطلٍ اعتقده عجزا، وعد الثبات عليه من بعد لزوم الحجة جلدا؛ إذ من علامات إنسانية الإنسان الرجوع عن الباطل إذا ثبت أنه باطل وأقيمت الحجة على بطلانه يقول عبد القاهر "...**وهذا تقرير لا يدفعه إلاّ مُعاندٌ يَعُدُّ الرجوع عن باطلٍ قد اعتقده عجزا، والثباتَ عليه من بعد لُزُوم الحجة جلدا، ومن وضع نفسه في هذه المنزلة، كان قد باعدها من الإنسانية**"(٢١٦)

---

(٢١٤) دلائل الإعجاز صـ ٥٥٣ .

(٢١٥) دلائل الإعجاز صـ ٥٥١ .

(٢١٦) دلائل الإعجاز صـ ٥٢٦ .

وهكذا يتضح أن عبد القاهر أكد - في إبرازه لصفات قارئ البلاغة المبتغى - على القلق المعرفي، والقلق المنهجي بشقيه النظري والتطبيقي، وما يلزم عنهما من ضرورة إعمال العقل، وترك التقليد، لكل من العلماء، و الآراء مهما كانت شهرة الآراء، ومهما كان صيت العلماء؛ فضرر التقليد في العلم أشد فتكا بالعلم والعلماء من ضرر الخطأ في إعمال العقل والاجتهاد، ومن ثَمَّ كثرت إشاراته في الدلائل إلى أن محاذير البلاغة ثلاثة تتمثل في :

-أولا:- عدم الوعي بعلاقة البلاغة بإعجاز القرآن

ثانيا :- عدم الوعي بأن جناحي البلاغة يتمثلان في الذائقة البيانية ومعاني النحو

ثالثا:- التقليد الذي يستبطنه الخواء من القلق المعرفي والقلق المنهجي بشقيه النظري والتطبيقي.

أما علاقة البلاغة بإعجاز القرآن فمما لا يماري فيها عاقل، والاستدلال له من الدلائل تكلف.

أما جناحا البلاغة فليس لبلاغي أن يزعم التحليق في أجواء النصوص الرفيعة، ما لم يعتمد على نظرية النظم، التي عمادها معاني النحو المُتَوخّاة فيما بين معاني الكلم، ومن ثم كان الصاد عن النحو كالصاد عن سبيل الله، والمبتغي إطفاء نور الله تعالى[٢١٧]....

وكان الصادُّ عن ذلك صادًّا عن أن تعرف حجة الله تعالى[٢١٨] .؛ فهو أشبه بأن يكون صدا عن كتاب الله، وعن معرفة معانيه [٢١٩]. وهو مما يعلم به العاقلُ شدَّة الحاجة إلى هذا العلم، وينكشف معه عوار الجاهل به[٢٢٠]

وأما الذائقة البيانية فلئن كانت معاني النحو رحيق نظرية النظم فإن الذائقة روحها التي تسري في شرايينها مسرى النفس في النفس ومن ثم كثرت إشاراته إليها على مستويين:-

أولهما:- بيان ضرورة الذائقة البيانية لمن يتطلع لأن يكون من أهل البلاغة

---

(٢١٧) دلائل الإعجاز صـ ٨ .

(٢١٨) دلائل الإعجاز صـ ٩ .

(٢١٩) دلائل الإعجاز صـ ٢٨

(٢٢٠) دلائل الإعجاز صـ ٣٧٤ .

وذويها يقول:- "واعلم أنه لا يصادف القولُ في هذا الباب موقعا من السامع ... حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام، فيجد الأريحيةَ تارة، ويعرى منها أخرى، وحتى إذا عجَّبْتَهُ عجب، وإذا نبهته لموضع المزية انتبه."(٢٢١) ويقول " المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانها وتصور لهم شأنها أمور خفية، ومعانٍ رُوحَانِيَّة، أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها، وتحدث له علما بها، حتى يكون مهيئا لإدراكها، وتكون فيه طبيعة قابلة لها، ويكون له ذوق وقريحة .(٢٢٢)

ثانيهما :- شكواه ممن عدمها وهو يزعم أنه أوتيها، وأنه ممن يكمل للحكم، ويصح منه القضاء (٢٢٣)

وهؤلاء هم الآفة العظمى في هذا الباب ومن ثم كان دفاعه عن الشعر؛ إذ معرفة الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن تتوقف على معرفة الشعر ومن ثم كان الصاد عن ذلك صادا عن أن تعرف حجة الله تعالى. (٢٢٤) ومن ثم كان الجهل بدقائق علم البيان وأسراره التي طريق العلم بها الروية والفكر،واللطائف التي مستقاها العقل يرجع في الأساس إلى سوء الاعتقاد في الشعر الذي هو معدنها وعليه المعول فيها، وفي علم الإعراب الذي هو لها كالناسب الذي ينميها إلى أصولها، ويبين فاضلها من مفضولها..

ولقد بلغ من عناية عبد القاهر بكل من **النحو، والذائقة البيانية**، والتأكيد على ضرورة محوريتهما ومركزيتهما في ثقافة التكوين العقلي لقارئ البلاغة، أنه يرفض الكلام في البلاغة وقضاياها مع من افتقدهما أو افتقد أحدهما وقد تكررت إشارته إلى ذلك في مواضع كثيرة في الدلائل ومن ذلك قوله :- "**وهذا سؤال لهم من جنس آخر في النظم. قالوا: لو كان النظم يكون في معاني النحو، لكان البدوي الذي لم يسمع بالنحو قط، ولم يعرف المبتدأ والخبر وشيئا مما يذكرونه، لا يتأتى له نظم كلام.**

---

(٢٢١) دلائل الإعجاز صـ ٢٩١ .

(٢٢٢) دلائل الإعجاز صـ ٥٤٧

(٢٢٣) دلائل الإعجاز صـ ٥٤٩ .

(٢٢٤) دلائل الإعجاز صـ ٨

وإنا لنراه يأتي في كلامه بنظم لا يحسنه المتقدم في علم النحو .وجوابنا هو مثل جواب المتكلمين*، وهو أن الاعتبار بمعرفة مدلول العبارات، لا بمعرفة العبارات أترى الأعرابي حين سمع المؤذن يقول :((أشهد أن محمداً رسولَ الله)) بالنصب، فأنكر وقال: صنع ماذا؟ أنكر عن غير علم أن النصب يخرجه عن أن يكون خبرا ويجعله والأول في حُكْم اسم واحد، احتيج إلى اسم آخر أو فعل حتى يكون كلاما، وحتى يكون قد ذكر ما له فائدة ؟ إن كان لم يعلم ذلك، فلماذا قال ((صنع ماذا؟))، فطلب ما يجعله خبرا ... ومن أفضت به الحال إلى أمثال هذه الشناعات، ثم لم يرتدع، ولم يتبين أنه على خطأ فليس إلا تركه والإعراض عنه .ذاك لأنا قد علمنا علم ضرورة أنا لو بقينا الدهر الأطول نصعد ونصوب، ونبحث وننقب، نبتغي كلمة قد اتصلت بصاحبة لها، ولفظة قد انتظمت مع أختها، من غير أن توخي فيما بينهما معنى من معاني النحو، طلبت ممتنعا، وثنيت مطايا الفكر ظلعا[٢٢٥]

إذا كان لنا أن نعلق على هذا النص الطويل، فليس إلا أن ندعو البلاغيين إلى ضرورة الجمع في الإدراك البلاغي للنصوص الأدبية الرفيعة شعرا ونثرا، وفي الإدراك البلاغي النقدي لكلام القدماء فيهما بين آليات التحليل في علمي البلاغة والنحو فضلا عن الذائقة البيانية بشرط أن ينأوا بأنفسهم عن التقليد المزري بعقل صاحبه ومن ثم كان رأيه فيمن يحارب النحو أو يتنكر للذائقة أو يقلد على النحو التالي:-

أما الذين يحاربون النحو فيجب أن نعي أنهم إنما يحاربون **القرآن الكريم**، ويصدون الناس عن السبيل المؤدي إلى الوعي بأنه معجزة رسولنا محمد ﷺ وأنه برهان نبوته. وأما **الذائقة البيانية** فإن من عدمها ((**فما أقل ما يجدي الكلام معه**))[٢٢٦]، ((**ومن أداه قول يقوله إلى مثل هذا كان الكلام معه محالا، وكنت إذا كلفته أن يعرف، كمن يكلف أن يميز بحور الشعر بعضها من بعض من ليس له ذوق يقيم به الشعر من أصله**))[٢٢٧] وأما **التقليد** فقد حاربه باعتباره رذيلة علمية في حد ذاته، فضلا عن كونه

---

* أرجو أن يلاحظ إشارته الدالة على التبادل المعرفي بين مكونات العقل البياني العربي من العلوم وهو ما يؤكد أن آليات القراءة واحدة .

(٢٢٥) السابق صـ ٤١٨، ٤١٩

(٢٢٦) دلائل الإعجاز صـ ٢٩١ .

(٢٢٧) دلائل الإعجاز صـ ٤٢٤ .

علامة من علامات الخواء من القلق المعرفي، والقلق المنهجي ومن ثم اتسم الدلائل بالطابع السجالي الاستدلالي الإقناعي رغبة منه في استنهاض همة قارئه وحميته العقلية، وغيرته الدينية، حتى لا يقنع بالتقليد؛ سواء كان للقدماء بحفظ ما قالوه دون تدبر، أو بالأخذ عن المعاصرين دون تبصر، وهو ما يشير إلى حرص عبد القاهر على أن يتصف قارئه بكل من القلق المعرفي، والقلق المنهجي، مثلما حرص على أن يتصف بهما كتابه الدلائل.

ونؤكد أن المتدبر للدلائل يستطيع التثبت من جريان القلق المعرفي، والقلق المنهجي في شرايينه بأيسر الملاحظات، ويكفي النظر إلى تمهيد الإمام وخاتمته حتى نتيقن أن الطابع السجالي الإقناعي للدلائل ما هو إلا أثر من آثار القلق المعرفي والقلق المنهجي يقول في التمهيد:- "**إن التَّوَقَ إلى أن تقرّ الأمور قرارها ...، شيء في سوس العقل، وفي طباع النفس إذا كانت نفسا**[٢٢٨]".

ويقول في الخاتمة:- "**فيا أيها السامع لما قلناه، والناظر فيما كتبناه، والمتصفح لما دوناه، إن كنت سمعت سماع صادق الرغبة في أن تكون في أمرك على بصيرة، ونظرت نظر تامِّ العناية في أن يُورِدَ ويُصدِر عن معرفة، وتَصَفَّحْتَ تصفُّحَ من إذا مارس بابا من العلم لم يُقْنِعْهُ إلا أن يكون على ذروة السَّنام، فقد هديت لضالتك ... فخذ لنفسك بالتي هي أمْلأَ ليديك، وأعود بالحظ عليك، ووازن بين حالك الآن وقد تنبهت من رقدتك، وأفقت من غفلتك، وصرت تعلم - إذا أنت خضت في أمر (اللفظ) و (النظم) - معنى ما تذكر، وتعلمُ كيف تُورد وتُصْدِر، وبينها وأنت من أمرها في عمياء، وخابط خبط عشواء، قُصاراك أن تكرر ألفاظا لا تعرف لشيء منها تفسيرا، وضروب كلام للبلغاء إن سئلت عن أغراضهم فيها لم تستطع لها تبيينا، فإنك تراك تطيل التعجب من غفلتك، وتكثر الاعتذار إلى عقلك من الذي كنت عليه طول مدَّتكَ**"[٢٢٩]

وهكذا يتضح أن القلق المعرفي والقلق المنهجي هما لحمة كتاب الدلائل وسداه، ومن ثم لا يمكن لشجرة البلاغة أن تثمر إلا إذا رُوِيَتْ من مائهما، وتغذت من صدقهما وعطائهما، على أن ذلك مشروط براعٍ يأنف من التقليد ويربأ بإنسانيته أن تصيح مع الصائحين.

---

(٢٢٨) دلائل الإعجاز صـ ٣٤

(٢٢٩) دلائل الإعجاز صـ ٤٧٧، ٤٧٨

الخاتمة

للبحوث العلمية نوعان من النتائج؛ مجملة ومفصلة، أما المفصلة؛ فتتصل بكل نقطة كاملة في البحث، ولا يسهل تلخيصها في الخاتمة، وبخاصة في العلوم الإنسانية؛ إذ لا مفر في التعرف عليها من قراءة البحث بأناة وروية، أما النتائج المجملة؛ فهي بمثابة المبادئ العامة في مركزيتها ومحوريتها، ومن ثَمَّ نستطيع أن نذكر من نتائج البحث العامة، ما يتعلق بكل من النظرية النقدية الحديثة، وما يتعلق بعبد القاهر الجرجاني .

ونبدأ بما يتفقان فيه، وهو أن القارئ يعتبر المحور الرئيس في عملية التلقي عندهما، غير أن ما يختلفان فيه، يتجلى في إفراط النظرية النقدية الحديثة في الاهتمام بالقارئ، والإغراق في تصوير مركزية حريته في فعل القراءة، وهو ما انعكس على موقفهم من القضايا المعرفية والمنهجية؛ فدعوا إلى القطيعة المعرفية مع التراث، والإعلان عن موت المؤلف والنص، مؤكدين أن التقدم المعرفي والمنهجي مرهون بهذه القطيعة من جهة، وباعتبار نص القارئ هو الأساس في عملية القراءة من جهة أخرى، وقد أسهم هذا في بلورة صورة للقارئ تتسم بالقلق المعرفي والمنهجي القائم على هدم ما كان قبله؛ فكل قراءة إساءة قراءة .

أما صورة القارئ عند عبد القاهر؛ فتعتمد على الاعتدال في الاهتمام بالقارئ، على أساس أنه لم يكن منسيا في البلاغة العربية، ومن ثم كان هناك تأكيد على مركزية حريته في فعل القراءة، غير أنها مشروطة بالذوق البياني، والتعليل المتسق مع طبيعة اللغة، وأعرافها، ومن ثم كان هناك تشديد في التأكيد على ضرورة البناء على ما قدمه السابقون من أهل العلم، ورفض الدعوة إلى القطيعة معهم معرفيا أو منهجيا، وفي الوقت نفسه كان التشديد في التأكيد على رفض التقليد وهو ما يعني التواصل الواعي القائم على القلق المعرفي المنهجي.

المصادر والمراجع

١ – أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق هـ . ريتر مكتبة المتنبي – القاهرة ط ٢ ١٩٧٩ م

٢ – إشكاليات القراءة وآليات التأويل د / نصر حامد أبو زيد – الهيئة العامة لقصور الثقافة مصر كتابات نقدية أغسطس ١٩٩١م.

٣ – أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيموطيقيا إشراف – سيزا قاسم – نصر حامد أبو زيد دار إلياس العصرية – القاهرة ١٩٨٦ م .

٤ – بلاغة الخطاب وعلم النص د / صلاح فضل – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ط (١) ١٩٩٦

٥ – بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية د / محمد عابد الجابري – المركز الثقافي العربي– الدار البيضاء ط ٣ ١٩٩٣ م.

٦ – التأويل والتأويل المفرط / امبرتو إكو ترجمة ناصر الحلواني سلسلة آفاق الترجمة نشر الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة ط ١ أغسطس ١٩٩٦ م

٧ – التراث والحداثة دراسات ومناقشات د / محمد عابد الجابري – المركز الثقافي العربي بيروت – المغرب ط١ ١٩٩١م

٨ – الثابت والمتحول – أدونيس (على أحمد سعيد) بيروت ط٣

٩ – الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية / هانز جورج غادامير ترجمة د/ حسن ناظم – على حاكم صالح راجعه على الألمانية د / جورج كتورة – نشر دار أويا – ليبيا ط رقم ١ عام ٢٠٠٧ م

١٠ – الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون ج ٦ نشر دار الجيل لبنان بيروت ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م

١١ – دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني ت محمود محمد شاكر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ١٩٨٤م

السميائيات والتأويل مدخل لسميائيات ش . س . بورس د / سعيد بنكَراد – المركز الثقافي العربي المغرب ط ١ ٢٠٠٥ م

١٢ – الشعرية العربية – أدونيس (على أحمد سعيد) بيروت ط ١٩٨٣م

١٣ – في معرفة النص دراسات في النقد الأدبي حكمت الصباغ بيروت دار الآفاق الجديدة ١٩٨٣ م

١٤ – في الميزان الجديد د / محمد مندور دار النهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة ١٩٨٣م

١٥ – فن الشعر د / محمد مندور – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م .

١٦ – فن القص – في النظرية والتطبيق د / نبيلة إبراهيم مكتبة غريب – مصر د.ط ، د.ت.

١٧ – القارئ والنص – العلامة والدلالة د / سيزا قاسم نشر المجلس الأعلى للثقافة بمصر ط ٢٠٠٢ م

١٨ – قراءة التراث النقدي . جابر عصفور مؤسسة عيبال للدراسات والنشر – قبرص ط – ١٩٩١م

١٩ – قراءة النقد الأدبي جابر عصفور – الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر ٢٠٠٢ م

٢٠ – اللغة والتفسير والتواصل د / مصطفى ناصف سلسلة عالم المعرفة رقم ١٩٣ – يناير ١٩٩٥ م.

٢١ – المرايا المحدبة – من البنيوية إلى التفكيك د / عبد العزيز حموده – مطابع الرسالة – الكويت سلسلة عالم المعرفة ١٩٩٨م

٢٢ – المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري د / زكى نجيب محمود دار الشروق ط٤ ١٩٨٤ م

٢٣ – الموازنة بين أبى تمام والبحتري للآ مدي تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد دار الباز للطباعة والنشر مصر د . ت.

٢٥ – مفاهيم نقدية – رينيه ويليك ترجمة د / محمد عصفور المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت سلسلة عالم المعرفة ١٩٨٧م

٢٦ – نظريات القراءة – من البنيوية إلى جمالية التلقي بارت ، تودوروف وآخرون ترجمة د / عبد الرحمن بو على دار الحوار سوريا ط ١ ٢٠٠٣

٢٧ – نظرية التلقي مقدمة نقدية روبرت هولب ترجمة د/ عز الدين إسماعيل نشر المكتبة الأكاديمية بمصر ط ١ سنة ٢٠٠٠م

٢٨ – نظرية الاستقبال روبرت هولب ترجمة رعد عبد الجليل جواد نشر دار الحوار سوريا ط١ سنة ٢٠٠٤ م

٢٩ – النقد الأدبي تأليف برونل، د / ماديلينا ود / كوتي، ج. م جليكسون ترجمة د/ هدى وصفى مكتبة الأسرة مصر ١٩٩٩ م.

ثانيا :- الدوريات

عالم الفكر – في مفهومي القراءة والتأويل د / محمد المتقن – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت العدد ٢ المجلد ٣٣ ديسمبر ٢٠٠٤ م-

مجلة فصول – منطلق الحداثة مكان أم زمان – أنور لوقا – الهيئة المصرية العامة للكتاب المجلد الرابع العدد الثالث يونيه / ١٩٨٤ م

Abstract

The Ideal Picture Of The Reader Of Rhetoric Between The Modern Critic Theory And Abdul Qaher Al Jerjani In His ."Book "Miracles Directories

Dr. Rifae Abdul Hafeth.

The research aims at reshaping the ideal reader's picture in the modern critic theory and A. Qader Jerjani in "Miracles Directories" shows the reader's freedom in reading. Here, the reader's picture in the modern theory has been tackled and discussed without forgetting the ideal picture of the modern reader regarding heritage.

The writer has shifted in two directions to make evident the reader's picture. The first one is the reader in the direction between brain and mind and the second one the documented anxiety and the programmed one. Each of these directions deals with researches about the relation between taste and scientific order and the relation between certified anxiety and the programmed one. A. Qader, as a reader, is considered as the example which has combined between documented and programmed development and so building up to what the ancestors provided without calling for document boycott or controlling it.

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

ACADEMIC REFEREED JOURNAL OF
ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE

EDITOR IN-CHIEF
Prof. Saeed Al Ayoubi

EDITORIAL BOARD
Prof. Mohammad Hasan Abu Yahya
Prof. Hassan Al-Amrani
Dr. Al-Sharif Walad Ahmed
Dr. Al-Rifai Abdel Hafiz

ISSUE NO. 35
Jumada 2, 1429H - June 2008CE

ISSN 1607- 209X

This Journal is listed in the **"Ulrich's International Periodicals Directory"** under record No. **157016**

e-mail: iascm@emirates.net.ae

United Arab Emirates
Dubai

ISSN 1607-209X

ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE MAGAZINE

Academic Refereed Journal

ISSUE NO. 35
Jumada 2, 1429H - June 2008CE
E-mail: iascm@emirates.net.ae